المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين

1949 – 2022

تأليف

أ. د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة 2023

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الطريق
إلى القدس

الفصل الخامس

المقاومة الإسلامية
على أرض فلسطين
2022–1949

توثيق معلومات النشر:

محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى القرن الحادي والعشرين**، ط 6 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2023)، ص 199–279.

فهرس المحتويات

المبحث الأول: بين الصعود والتعثُّر 1949–1987 201

أولاً: المسارات العامة 201

ثانياً: الإخوان المسلمون والمقاومة المسلحة 1949–1955 207

ثالثاً: علاقة الإخوان المسلمين بنشأة حركة فتح 213

رابعاً: المسار من الإخوان إلى حماس 218

خامساً: تطلعات ومسارات جهادية 222

المبحث الثاني: نحو الصدارة العسكرية والشعبية 1987–2022 231

أولاً: المسارات العامة 231

ثانياً: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) 235

ثالثاً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي: مرحلة الانتفاضة المباركة 1987–1993 239

رابعاً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي 1994–2000 245

خامساً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي: انتفاضة الأقصى 2000–2005 249

سادساً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي 2006–2022 253

خلاصة 263

المبحث الأول
بين الصعود والتعثُّر
1949–1987

أولاً: المسارات العامة:

- كان وقْعُ حرب 1948 كارثياً على الشعب الفلسطيني، إذ أدت عملية التطهير العرقي الصهيوني إلى تهجير نحو 800 ألف من أصل مليون و390 ألفاً هم تعداد الشعب الفلسطيني (نحو 57.6%)، كما خسر الفلسطينيون 77% من أرضهم، حيث أنشأ عليها اليهود الصهاينة كيانهم. وبالتالي فقد تمزّق النسيج الاجتماعي الفلسطيني، كما دُمرت البنى الاقتصادية والحياتية. ولم يتمكن الفلسطينيون من إنشاء كيانهم على ما تبقى من أرضهم، فضَمَّت الأردنُ الضفةَ الغربية، كما وضعت مصرُ قطاعَ غزة تحت إدارتها المباشرة؛ ومُنعت الهيئة العربية العليا الممثلة للشعب الفلسطيني من ممارسة سلطاتها على الضفة والقطاع، وعلى شعبها في أماكن تواجده.
- أصابَ أبناء التيار الإسلامي ما أصاب الفلسطينيين من قتل ودمار وتشريد، وانشغلوا كغيرهم بلملمة جراحهم، والتكيُّف مع أوضاعهم الجديدة، بينما تتطلع أعينهم للعودة، وتتلمس الطُّرق لاسترداد الكرامة والمضي في مشروع التحرير.
- كان النزيف هائلاً في فلسطين المحتلة 1948، حيث طرد الصهاينة 86.5% من أبنائها، وبقي فقط نحو 125 ألفاً من أصل 925 ألفاً كانوا يقيمون فيها، ووُضِعت هذه الأرض تحت الأحكام العسكرية حتى سنة 1966، وحصل تغييب للتيار الإسلامي، بينما نشط الحزب الشيوعي (الذي اعترف بالكيان الإسرائيلي) في الوسط الفلسطيني. غير أن هذا التيار أخذ يستعيد عافيته منذ منتصف السبعينيات، ليأخذ موقعه الشعبي المتقدم في الثمانينيات.
- اتسمت فترة الخمسينيات والستينيات بغلبة التيارات القومية واليسارية على الحياة السياسية العربية، وانتشرت خصوصاً في فترة صعود جمال عبد الناصر 1956–1967 الفكرة الناصرية، وفكرة "قومية المعركة" بمعنى أن قضية فلسطين

هي قضية قومية ومسؤولية قومية. وقد تألّق نجم عبد الناصر خصوصاً إثر العدوان الثلاثي الإسرائيلي البريطاني الفرنسي على قناة السويس سنة 1956، واضطرار هذه القوات للانسحاب بعد بضعة أشهر. وقد رافق ذلك، ترقّبٌ شعبي فلسطيني للدول العربية للقيام بتحرير فلسطين. وهو شعور أصابه الإحباط والخذلان في حرب 1967 عندما هُزمت البلاد العربية هزيمة كارثية أدت للاحتلال الإسرائيلي لباقي فلسطين التاريخية (الضفة والقطاع) ولشبه جزيرة سيناء المصرية وللجولان السورية.

- وفي هذه الأجواء، تعمقت الهوية الوطنية الفلسطينية، وضرورة أن يستلم الفلسطينيون زمام المبادرة بأنفسهم. وقد حاولت الأنظمة العربية أن تسترد بعضاً من كرامتها في حرب رمضان/ أكتوبر 1973، حيث حققت نجاحات جزئية على الجبهتين المصرية والسورية، سرعان ما تمكّن الصهاينة من إفراغها من محتواها بمكاسب مضادة تحت غطاء الدعم الأمريكي الهائل. وقد كانت هذه آخر الحروب العربية؛ إذ واجهت المقاومة الفلسطينية الاجتياح الإسرائيلي للبنان في صيف 1982، دونما تدخل عربي (إلا من دعمٍ سوري محدود)، حيث تلقت ضربة قاسية، أدّت لخروجها من بيروت، وإنهاء عملها المقاوم عملياً من خارج فلسطين. أما البيئة العربية فقد عانت من الانقسام، بدخول مصر في تسوية سلمية مع الكيان الصهيوني (كامب ديفيد Camp David 1978)، كما استنزفت العراق في حربها مع إيران 1980–1988. وبدا أن البيئة العربية صارت تميل أكثر لمسار التسوية وحلّ الدولتين، مع بروز مشروع الأمير فهد سنة 1982، وأخذت تدفع منظمة التحرير الفلسطينية بهذا الاتجاه.

- في الإطار الرسمي الفلسطيني، تابعت الأنظمة العربية محاصرة الهيئة العربية العليا وتهميش دورها، ولم يتبقَ لها سوى مكاتب مشلولة عاجزة عن التأثير على الأرض، واستمر أحمد حلمي عبد الباقي ممثلاً لفلسطين باسمها في جامعة الدول العربية حتى وفاته سنة 1963. غير أن الساحة الفلسطينية التي كانت تموج بالتنظيمات والحراكات الشعبية، نبهت الأنظمة العربية، وخصوصاً عبد الناصر، لضرورة استيعاب الوضع الفلسطيني وتوجيهه؛ فتم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيري في 1964، تعبيراً عن الكيانية الفلسطينية. غير

أن كارثة 1967 دفعت الفصائل الفلسطينية التي تصاعدت شعبيتها، وخصوصاً حركة فتح، للسيطرة على منظمة التحرير في صيف 1968، بينما تولى رئاستها ياسر عرفات في شباط/ فبراير 1969. وتمكنت المنظمة من الحصول على اعتراف الأنظمة العربية بها ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني سنة 1974، وتمكنت في السنة نفسها من تحقيق اعتراف دولي بمشاركتها في الأمم المتحدة؛ والحصول على عضوية مراقبة، والتصويت بأغلبية كبيرة في كل سنة من السنوات التالية على حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير، وحقه في المقاومة بكافة أشكالها؛ غير أن الطرف الإسرائيلي واصل احتلاله وبرامج قمعه وتهويده، مستفيداً من الغطاء الأمريكي والغربي الذي يمنع أي قرار ملزم ضده.

- الدُّول القطرية التي نشأت في المنطقة العربية نشأت دولاً علمانية، فصلت الدِّين عن الدولة، أو وظفت الدِّين في خدمة "شرعية" النظام الحاكم والعائلات الحاكمة. وفي الوقت الذي تمكنت فيه النُّخب التي تربت في مدارس الاستعمار وجامعاته، من مفاصل الدولة، واستلهمت النماذج الغربية في إدارة الدولة والمجتمع، فإن الإسلام أخذ حيّزاً متفاوتاً بين بلد وآخر، لكنه على أي حال لم يعد هو المنهج الحاكم والمرجعية الأساس. ولم يتمكن التيار الإسلامي من ترجمة مشروعه ورؤيته من خلال دولة أو نظام سياسي.

- وبالرغم من الشعارات القومية المرفوعة، ووجود جامعة الدول العربية، إلا أن الاتجاه العام كان نحو الانكفاء القُطري، خصوصاً بعد فشل مشاريع الوحدة، التي كان أبرزها مشروع الوحدة المصرية السورية 1958–1961.

- أدى عدم وجود دولة أو نظام عربي رسمي يتبنى الخط الإسلامي والعمل الإسلامي المقاوم لتحرير فلسطين، وخصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين، إلى انغلاق الفرصة أمامه للاستفادة من الإمكانات اللوجستية الهائلة للدول، مقارنة بإمكانات الأفراد والتنظيمات، بما في ذلك توفير القواعد ومقار العمل ونقاط الانطلاق، والدعم العسكري المالي والأمني والإعلامي... في الوقت الذي استفادت تنظيمات ناصرية وقومية وبعثية ويسارية من العديد من الأنظمة العربية. وبالتالي، فقد عبَّر التيار الإسلامي عن نفسه في إطار شعبي محدود، منعزل عن صناعة الأحداث، أو تشكيل ثقلٍ نوعي قادر على التأثير في مجرياتها.

- عاش الحضور الشعبي للتيار الإسلامي الفلسطيني حالة مدٍّ وجزر، إذ كان له حضوره القوي في الفترة 1949–1956 في قطاع غزة والضفة الغربية وشرقي الأردن، غير أنه عانى من حالة من الانحسار خصوصاً في الفترة 1956–1967 في ضوء الضربات القاسية التي تلقاها الإسلاميون، وحملات التشويه والمطاردة التي قادها نظام عبد الناصر، وصعود التيارات القومية واليسارية. ثم عاد للصعود من جديد في السبعينيات ليصبح منذ أواخرها المنافس الشعبي الأول لحركة فتح؛ وقد ترافق ذلك مع انتشار الصحوة الإسلامية التي أخذت تعمُّ العالم العربي والإسلامي.
- كان للتيار الإسلامي الفلسطيني قصب السبق في إطلاق المقاومة المسلحة من قطاع غزة وسيناء بعد كارثة حرب 1948، مع دور أقل في الضفة الغربية. غير أن ضرب نظام عبد الناصر للإخوان عطّل هذا العمل. وهو ما دفع عدداً من شباب الإخوان للعب دور أساسي في إنشاء حركة فتح، بينما أعاد الإخوان الفلسطينيون ترتيب تنظيمهم، وفضلوا الركون للتربية وحفظ الذات في أجواء مطاردة وملاحقة الإسلاميين. ولم يكن ثمة دور عسكري مقاوم إلا في إطار مشاركة محدودة من خلال معسكرات الشيوخ 1968–1970؛ بانتظار جهود أكثر فاعلية منذ نهاية السبعينيات أدت إلى انطلاق حماس سنة 1987. أما حركة الجهاد الإسلامي (التي خرجت من رحم الإخوان)، فقد انطلقت سنة 1980.
- في سنة 1952 أنشئ حزب التحرير الإسلامي برئاسة الشيخ تقي الدين النبهاني، وهو من أبناء فلسطين؛ وتمكّن من ضم العديد من شباب الإخوان وقياداتهم خصوصاً في القدس والخليل. وقد اكتسب شعبية لا بأس بها في الخمسينيات، وكان له دوره في الدفاع عن الإسلام والدعوة للخلافة الإسلامية، غير أنه لم يمارس عملاً جهادياً باعتبار أن ذلك منوط بخليفة المسلمين الذي يجب أن يتم الجهاد تحت رايته؛ وأن إقامة الخلافة تسبق عملية التحرير.

نتائج حرب 1967

نتائج حرب 1973

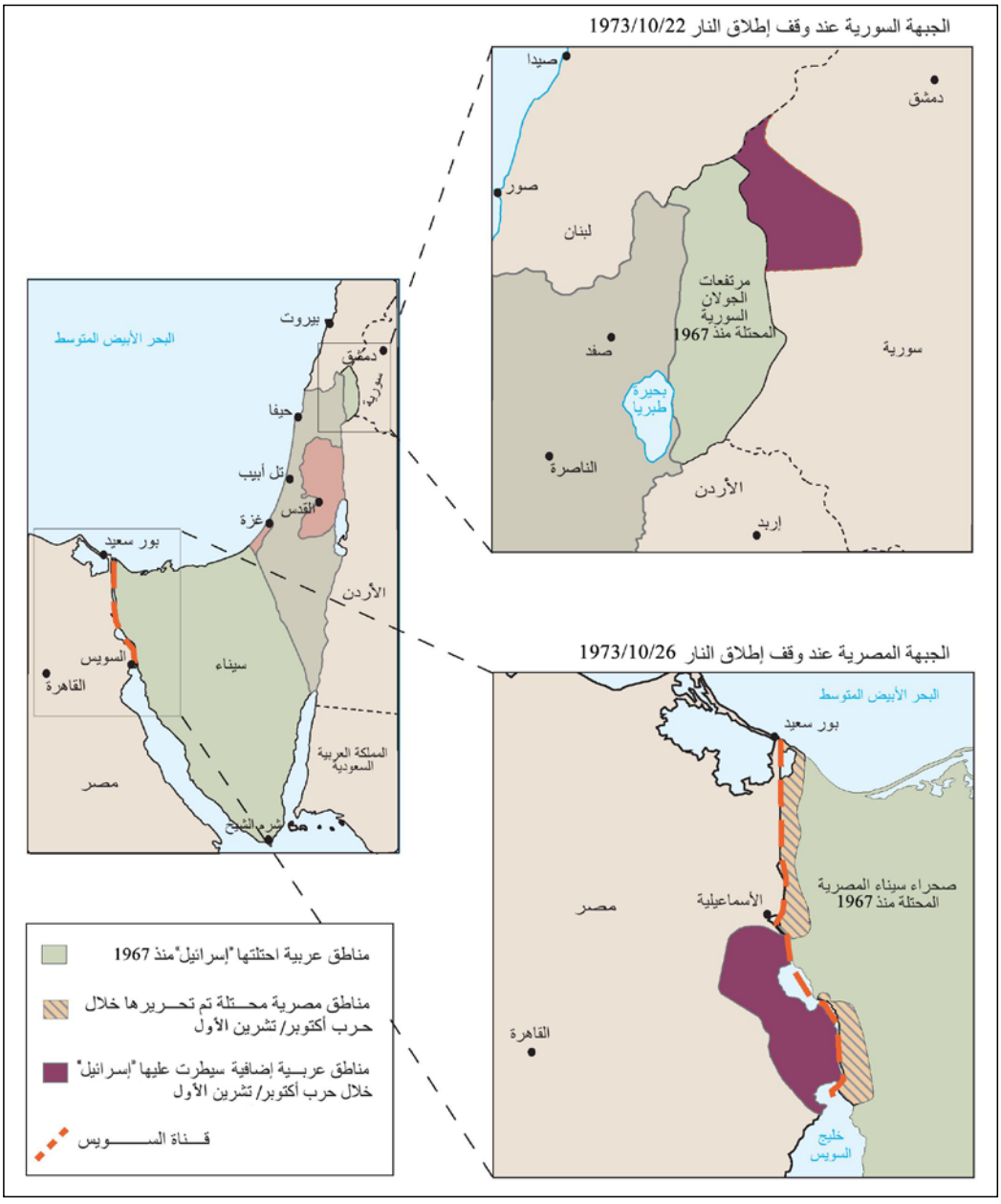

المصدر: حرب أكتوبر، تشرين الأول 1973، موقع الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية PASSIA، في: http://www.passia.org/maps/view/101 (بتصرف)

ثانياً: الإخوان المسلمون والمقاومة المسلحة 1949–1955:[1]

يحسب للإخوان الفلسطينيين التجربة الريادية التي قدموها للعمل العسكري المقاوم من قطاع غزة وسيناء، بالتنسيق مع الإخوان المصريين. وربما كانت قدرة هذه التجربة محدودة في التأثير على مجريات الأحداث، وربما كان مداها الزمني محدوداً (1950–1955)، غير أنها يجب تسجيلها تاريخياً كعمل ريادي. كما يجب أن يُحسب لها أنها وفرت العناصر القيادية المؤهلة والحاضنة التي نشأت في أجوائها حركة فتح. وثمة تقصير وسط مؤرخي القضية الفلسطينية في إعطاء هذه التجربة مكانتها اللائقة في سياق تاريخ المقاومة الفلسطينية.

لم يكن من المستغرب أن تكون فكرة استئناف العمل العسكري بعد النكبة، حاضرة في نفوس الإخوان المسلمين. وثمة ما يشير إلى أن بدايات عمل المقاومة المنظمة من قطاع غزة ومن الحدود المصرية تعود إلى جهود كامل الشريف. فقد كان الشريف أحد قادة الإخوان المسلمين المصريين، من أبناء سيناء، الذين شاركوا في حرب 1948 في يافا وفي جنوب فلسطين. وقد تمرَّد كامل ورفاقه من الإخوان ومؤيديهم، على الهدنة بين مصر و"إسرائيل"، والتي عُقدت في آذار/ مارس 1949، وتابعوا القتال، بالرغم من وجود بيئة سياسية وأمنية مصرية تحارب الإخوان وتطاردهم، بعد حظر جماعتهم واغتيال مرشدهم. غير أن السلطات المصرية قامت باعتقاله ورفاقه في رفح، ثم أفرجت عنهم في أوائل 1950، واضطر للعودة إلى العريش.[2]

ظلّ الشريف "مسكوناً" بفكرة الجهاد ضدّ الصهاينة، حيث أقام في مدينة العريش، وأخذ يعيد ترتيب شبكة للمقاومة المسلحة في قطاع غزة وعبر الحدود المصرية، تحت المظلة الواسعة للإخوان. ومن الواضح أن كامل الشريف، ابن صحراء سيناء، وبما لديه من خبرة عسكرية ناجحة، قد فاز بثقة قيادة الإخوان في القاهرة، لتكليفه بمهام قتال الإسرائيليين، والتي أضيف إليها مهام قتال الإنجليز في قناة السويس، بعد أن قام رئيس الوزراء المصري النحاس باشا بإلغاء معاهدتَي 1899 و1936 مع بريطانيا، في أواخر سنة 1951.[3]

وبالتنسيق مع كامل الشريف، أنشأ الإخوان المسلمون في قطاع غزة تنظيماً سرياً ذا طبيعة عسكرية، قام بعدد من العمليات بالتنسيق مع بدو النقب وسيناء. وبحسب

شهادات أعضاء هذا التنظيم العسكري الخاص، أمثال: محمد الخضري، وفوزي جبر، وخيري الأغا، ومحمد صيام، فإن هذا العمل كان عملاً سرياً منظماً جداً.[4] ولضمان نجاح العمل، لم يكن هذا النشاط موضوعاً تحت إشراف القيادة الرسمية "التقليدية" للإخوان في غزة، ولكن كان له صلة وصل بكامل الشريف في العريش، الذي كانت تتم متابعته تنظيمياً من عضو مكتب الإرشاد الشيخ محمد فرغلي؛ والذي كان القائد العام لحملة الإخوان العسكرية في حرب فلسطين 1948.[5]

وكان محمد أبو سيدو[6] صلة وصل رئيسية بين الشريف وبين القيادات في القطاع، فقد كان يعمل سباكاً في الجيش المصري في العريش، وكان معتاداً على العودة إلى غزة في عطلة نهاية الأسبوع. وقد وفَّر له ذلك غطاء مناسباً لتوصيل المعلومات والتعليمات، ابتداء من رفح مروراً، بخان يونس، ووصولاً إلى مكان إقامته في غزة.[7]

من ناحية تنظيمية، تمّ تقسيم قطاع غزة إلى ثلاث مناطق:

1. غزة: ويتولى قيادتها خليل الوزير (أبو جهاد) وكان من بين مساعديه فوزي جبر، ومحمد الخضري، ومعاذ عابد، وعبده أبو مريحيل، وحمد العايدي.
2. الوسطى (خان يونس): ويتولى قيادتها خيري الأغا.
3. الجنوب (رفح): ويتولى قيادتها محمد يوسف النجار؛[8] وكان يساعده موسى نصار، وتولى إبراهيم عاشور في وقت لاحق القيادة مكان النجار.[9]

وكانت إحدى العلامات المشجعة أن هناك المئات من الشباب الفلسطيني ممن تدرب في معسكرات الإخوان، في حرب 1948. واستفاد الإخوان من وجود الضابط الإخواني في الجيش المصري عبد المنعم عبد الرؤوف في القطاع إثر نجاح الثورة المصرية، فسهل لهم سبل التدريب العسكري.[10] كما وفَّر كامل الشريف ورفاقه دعماً لوجستياً للعمل المقاوم، من خلال إنشاء معسكر للتدريب في القصيمة في سيناء، على بعد نحو 86 كم جنوب شرقي العريش، قرب الحدود مع فلسطين المحتلة.[11] كما تلقى عدد من الفلسطينيين تدريباً عسكرياً في المعسكرات التي أقامتها الجامعات المصرية بعد تصاعد الأزمة مع الإنجليز في قناة السويس منذ أواخر 1951 وحتى 1954. وكان ياسر عرفات (القريب من الإخوان) أحد الفلسطينيين الذين تلقوا التدريب على يد مدربي الإخوان في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) في تلك الفترة.[12]

وكان معظم السلاح المتوفر سلاحاً خفيفاً يتناسب مع عمليات مقاومة محدودة، وزرع ألغام، ولكن لا يسمح بمواجهات واسعة مباشرة أو طويلة.[13]

وقد تمّ تنفيذ الكثير من العمليات المسلحة تحت إشراف كامل الشريف في النصف الأول من الخمسينيات ضدّ الإسرائيليين. وكانت المخابرات العسكرية المصرية تعتقل أحياناً، ولوقت محدود، بعضاً من رفاق كامل الشريف؛ ومع ذلك، فقد كان هناك مجموعة من الضباط، مرتبطون بشكل عام بالإخوان المسلمين وبالضباط الأحرار، يدعمون هذه العمليات، ويشاركون فيها، وهو ما كان يُسهل عمل المقاومة، ويوفر لها بيئة عمل أفضل.[14] ويشير أبو جهاد، في المقابلة التي أجرتها معه سلوى العمد، إلى قيامه وإخوانه بعمليات زراعة ألغام. كما كان يتم نسف أنابيب المياه في المستعمرات.[15]

نفَّذ عبد الله صيام عمليات من شمال غزة، بينما نفَّذ حمد العايدي عمليات من الوسط، ونفَّذ إبراهيم عاشور عمليات من الجنوب. وكانت عملية "الباص" في 1954/3/17 أحد أشهر العمليات التي تُظهر بعض المؤشرات أن البدو نفذوها بالتنسيق مع الإخوان، وأدت إلى مقتل 11 إسرائيلياً قرب بئر السبع بجانب مستعمرة معاليه أكربيم Ma'ale Akrabim.[16]

أسهمت عمليات الإخوان العسكرية في القطاع في إفشال مشروع توطين اللاجئين في سيناء، الذي كانت قد وافقت عليه حكومة الثورة المصرية، ذلك أن كل عملية جهادية كان يعقبها انتقام إسرائيلي، مما أحرج الحكومة المصرية، ودفعها إلى إنشاء الكتيبة الفلسطينية.[17] وحتى بعد حظر نشاط الإخوان في القطاع وتعرضهم للمطاردة استمروا في عملهم الجهادي السري. وكان لهم دورهم في المقاومة الشعبية للاحتلال الإسرائيلي للقطاع (1956/10/31–1957/3/6)، وتحت الاحتلال نظَّم الإخوان إضراباً نجح على نطاق واسع، وقبض الصهاينة على عدد من الإخوان الذين ظلّوا في السجن حتى انسحاب الصهاينة من القطاع.[18]

غير أن ظروف مطاردة النظام الحاكم في مصر للإخوان واعتقالهم، والإفساح لنشاط الحركات القومية والاشتراكية، بالإضافة إلى هجرة العديد من كفاءات ورموز الإخوان إلى الخارج، وخصوصاً الخليج للعمل، كل ذلك أضعف من قوة حركة الإخوان في القطاع، وهمَّش دورها خصوصاً منذ أواخر الخمسينيات وحتى 1967.[19]

الضفة الغربية:

بعد ضمّ الأردن للضفة الغربية أصبح نحو 75% من سكان المملكة "فلسطينيون" أو من "أصول فلسطينية".[20] كما أن أبناء شرقي الأردن كانوا يحملون في أعماقهم قضية فلسطين باعتبارها قضيتهم الدينية والقومية والوطنية؛ بعيداً عن الحدود التي اصطنعها الاستعمار بين أبناء الأمة العربية المسلمة. وبالنسبة للتيار الإسلامي وتحديداً الإخوان من أبناء الضفة الغربية فقد كان اندماجهم مع إخوانهم في شرقي الأردن سلساً وقوياً، ويعبرّ بصدق عن روح الأمة الواحدة، كما أن قيادة الإخوان برئاسة عبد اللطيف أبو قورة ثم محمد عبد الرحمن خليفة، وضعت فلسطين على رأس أولوياتها.

وقد واصلت شُعب الإخوان أعمالها في الضفة الغربية،بعد حرب 1948، كفروع القدس ونابلس والخليل وبيت لحم وطولكرم. كما افتتحت فروع جديدة في جنين وقلقيلية، وعنبتا، ودورا، وصوريف، وصور باهر، وبرقا، وأريحا؛ وفي عدد من مخيمات اللاجئين بما فيها عقبة جبر قرب أريحا، والعروب قرب بيت لحم.[21]

سعى الإخوان في الأردن الذين لم يكونوا مرتاحين لأداء الجيش بقيادة الجنرال البريطاني جلوب باشا Glubb، إلى دعم الحرس الوطني وتقويته؛ وهي تشكيلات عسكرية دفاعية بدأ تشكيلها منذ 1949، وكانت تتولى حماية خطوط التماس مع العدو الصهيوني؛ ولكنها كانت ضعيفة التسليح والتدريب والإمكانات.[22] ولذلك، انتمى الكثير من الإخوان إلى الحرس الوطني، وكانوا ضمن تشكيلاته حيث يتواجد في المناطق والقرى التي ينتمون إليها. وفي صور باهر مثلاً كان معظم أعضاء الحرس الوطني من الإخوان؛ وعملوا على تحصين القرى الأمامية.[23]

وفي سنة 1953 بذل الإخوان جهوداً كبيرة لتحشيد العالم الإسلامي لنصرة قضية فلسطين، وتمكنوا من عقد "المؤتمر الإسلامي" في القدس 4–1953/12/10، حضره ممثلون من بلدان العالم العربي والإسلامي ومسلمون من باقي دول العالم، وصدرت قرارات داعمة لفلسطين بما في ذلك إنشاء صندوق لدعم إعمار فلسطين، وجعل فلسطين محل اهتمام العالم الإسلامي. وانتُخب سعيد رمضان أميناً عاماً، وكامل الشريف نائباً له.[24]

كانت رغبة الإخوان أن يشكل المؤتمر غطاء للمقاومة ومواجهة الاحتلال. وقد عقد مصطفى السباعي مؤتمراً صحفياً في نيسان/ أبريل 1954 قال فيه إن المؤتمر الإسلامي

قرر تدريب شباب فلسطين على حمل السلاح، وأضاف "ستكون مهمتنا تقوية الخطوط الأمامية بين الدول العربية وإسرائيل وتسليح الفلسطينيين تسليحاً كافياً".[25]

ويبدو أن الإخوان أرادوا من انتخاب كامل الشريف في هذا الموقع أن يوفروا له غطاء لمتابعة عمله العسكري الجهادي عبر الضفة الغربية. ومع أواخر سنة 1953، انتقل كامل الشريف بالفعل إلى الأردن. وقد نشأ تعاون وثيق بين المؤتمر الإسلامي وبين الحرس الوطني؛ وتمّ جمع أموال كثيرة تحت غطاء المؤتمر لتسليح الحرس الوطني، حيث أشرف بنفسه على تحصين الحدود، ودعم الحرس الوطني على خطوط الهدنة في الضفة الغربية. وقام المؤتمر بتحصين أربع قرى قرب القدس والخليل؛ وزوَّد العديد من القرى بمواد بناء وغيرها لعمل التحصينات بإشراف المؤتمر أو بإشراف الإخوان، وصرف مبالغ على بناء متاريس في عدد من أحياء القدس، وتمّ إنشاء مستشفى على طريق البيرة – الجلزون ليكون للحرس الوطني.[26]

وكان جزء كبير من المال يذهب للعمل الفدائي السري الذي يشرف عليه الشريف. وقد أحضر الشريف أحد أبرز مدربي الإخوان العسكريين ممن شاركوا في حرب 1948 وهو عبد العزيز علي، الذي جاء من مصر في 1954/7/21، بعد أن استأذن من الإخوان هناك فسمحوا له. وطَلَب منه الشريفُ تدريب العناصر الفدائية سراً. حيث قام عبد العزيز في القدس بتدريب عدة دفعات من الإخوان، كما قاموا بعمليات ضدّ الكيان الإسرائيلي. وقد تركز العمل من منطقتَي القدس والخليل. وممن ساعد في العمل العسكري أبناء عبد النبي النتشة في الخليل، وكذلك عبد الرحيم الشريف الذي كان يعمل قاضياً في غزة، وكان له بيت في الخليل، حيث كانت تُرتب عن طريقهم العمليات.[27]

وقد استمر عبد العزيز علي في العمل والتدريب، غير أن السلطات الأردنية قامت بطرد كامل الشريف وعبد العزيز علي في كانون الأول/ ديسمبر 1954،[28] بعد أن انزعج رئيس أركان الجيش الأردني في تلك الفترة جلوب باشا من نشاطهما، ثمّ إنهما عادا للأردن، بعد طرد الملك حسين لجلوب في آذار/ مارس 1956، ولكن العمل العسكري كان قد توقف.[29]

أحدث العدوان الثلاثي على مصر 1956، حراكاً شعبياً واسعاً في الأردن. وكان موقف المكتب التنفيذي لتنظيمات الإخوان في البلاد العربية داعماً بقوة لمصر ولعبد الناصر في مواجهة العدوان (بالرغم من اضطهاده وضربه للإخوان)، وأيَّدوا

تأميم قناة السويس، وأكدوا أن الإسلام دين التحرّر، وأن المعركة مع الاستعمار معركة عقيدة، وأنه لا بدّ أن يطرد الاستعمار نهائياً من بلدان المسلمين، وأن الإخوان المسلمين في كافة البلدان العربية يضعون كافة إمكانياتهم لنصرة مصر ومؤازرة جيشها.[30] واستفاد الإخوان في الأردن من تخفيف الحكومة قبضتها الأمنية، فأخذوا يتدربون على القتال في شُعب الإخوان، بما في ذلك سطح المركز العام في عمّان، وفي مقرهم في القدس؛ وأخذوا يجهزون أنفسهم لمواجهة أي عدوان إسرائيلي محتمل.[31]

من جهة أخرى، سعى الإخوان في الأردن تحت غطاء الكشافة إلى التدريب على الأسلحة تحت غطاء المخيمات الكشفية التي تُعقد في مناطق نابلس والخليل والقدس ومناطق شرقي الأردن، وهو ما كان يثير قلق السلطات الأردنية بشكل كبير. وفي تقارير الأمن الأردني معلومات عن تدريبات في منتصف الخمسينيات وسنة 1958، وكان التدريب يتم سراً وليلاً في أماكن منعزلة، حيث تكون الأسلحة مخبأة بعناية، ثم يعودون كأفراد إلى بيوتهم.[32] غير أن هذا التدريب، كان في إطار الإعداد، ولم ترافقه عمليات مقاومة عسكرية.

وفي لبنان، قام الشيخ فضل عباس، الذي جاء إليه نحو سنة 1953 (وكان من شباب الإخوان من أبناء فلسطين)، بتنظيم مجموعات جهادية سرية، تمكنت من اختراق الحدود باتجاه شمال فلسطين المحتلة والاستطلاع في الفترة 1954–1956، لكن دورها لم يتطور أكثر من ذلك.[33]

وفي سورية، يظهر أن النظام الخاص التابع للإخوان السوريين قام بتجنيد كثير من الفلسطينيين، في النصف الأول من الخمسينيات، ومن بينهم هاني الحسن، حيث خضعوا لدورات تثقيف عقائدي ودورات عسكرية.[34] ويبدو ذلك منسجماً مع توجهات الإخوان السوريين الذين شاركوا بقيادة مراقبهم العام مصطفى السباعي في حرب 1948، واستمرت حماستهم متقدة لفلسطين. ولكن ليس لدينا معلومات إن كانوا قد قاموا لاحقاً بأي عمليات عسكرية ضدّ العدو الصهيوني.

وفي العراق، كان من التجارب المبكرة اللافتة، تجربة صالح عبد الله سرية، الذي هاجر للعراق إثر نكبة 1948، وانتمى لجماعة الإخوان وتتلمذ على يد مراقبها العام في العراق الشيخ محمد محمود الصواف. وبالإضافة إلى تعليمه الجامعي، تلقى تدريباً عسكرياً وتخرج سنة 1959 برتبة "ملازم ثاني" من الكلية الحربية ببغداد. ويبدو أنه

استمر على التزامه الإسلامي، دون أن يواصل عضويته في الإخوان. وكان له دور رئيسي في تأسيس جبهة تحرير فلسطين (تغيرّ اسمها فيما بعد إلى جبهة التحرير الوطني الفلسطيني) في سنة 1959، والتي اندمج معظم أفرادها في فتح سنة 1968، وأصبح عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني الرابع، في صيف 1968، الذي سيطرت فيه الفصائل الفلسطينية على منظمة التحرير، وكان على علاقة وثيقة بياسر عرفات منذ أوائل الستينيات. غير أن صالح الذي أخذ يميل إلى رؤية إسلامية متشددة، والذي استقر لاحقاً في القاهرة، قُبض عليه سنة 1974 في حادثة "الفنية العسكرية" بتهمة السعي لقلب نظام الحكم، وتمّ إعدامه سنة 1976.[35]

ثالثاً: علاقة الإخوان المسلمين بنشأة حركة فتح:[36]

فرضت حالة التضييق والمطاردة وحملات التشويه الإعلامي ضدّ التيار الإسلامي، خصوصاً في مصر والقطاع، تساؤلاتٍ أمام شباب الإخوان المسلمين الفلسطينيين المتحمسين، الذين أخذوا يتساءلون عن وسائل العمل الممكنة لتحرير فلسطين. وبالرغم من أن التيار العام وسطهم كان يدعو إلى التريث، والتركيز على الجوانب التربوية والإيمانية، إلا أن تياراً آخر أخذ يتجه للقيام بعمل منظم مسلح، لا يتخذ أشكالاً إسلامية مكشوفة، وإنما يتبنى أطراً وطنية تمكنه من تجنيد قطاعات أوسع من الشباب، ولا تجعله عرضة لعداء الأنظمة وملاحقاتها. وكانت تجربة الثورة الجزائرية في تلك الفترة أحد الحوافز المهمة لهذا العمل.

تشير الدلائل إلى أن جماعة الإخوان المسلمين كانت الحاضنة الأولى لنشأة حركة فتح، وخصوصاً بين أفرادها من أبناء قطاع غزة (وتحديداً من أبناء التنظيم العسكري السري). وقد أبقى الكثير من هؤلاء على صِلاتهم مع بعضهم عندما انتقلوا للدراسة في مصر أو عندما رجعوا إلى القطاع، أو عندما ذهبوا للعمل في الكويت والسعودية وقطر والأردن (بما في ذلك الضفة الغربية). ويظهر أن النقاشات في الفترة 1955–1957، والتي تلت تَعطُّل عملهم، أوصلتهم إلى قناعة بضرورة إنشاء ما عُرف لاحقاً بـ"فتح". ويظهر أن عامة الإخوان كانوا يعدُّونها في البداية جزءاً منهم، أو على الأقل رصيداً لهم. غير أن الطرفين اتخذا خط الانفصال والتمايز عن بعضهما منذ صيف 1962.

وحسب خالد الحسن، أحد أبرز قادة فتح، فإن أبا جهاد خليل الوزير هو الذي بدأ حركة فتح،[37] وهو رأي يؤكده عدد من رموز وقيادات الإخوان الفلسطينيين.[38] وكان أبو جهاد من قادة التنظيم الإخواني السري العسكري.[39] أما ياسر عرفات، فثمة شبه إجماع بين الإخوان على أنه لم يكن عضواً في جماعة الإخوان، ولكنه كان قريباً منها.[40]

بعد انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للقطاع ببضعة أشهر، وتحديداً في صيف 1957، قدَّم أبو جهاد تصوراً إلى قيادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة؛ يقضي بإنشاء تنظيم لا يحمل لوناً إسلامياً في مظهره، وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح، ويقوم بالإعداد لذلك. ونوَّه أبو جهاد في مذكرته إلى أن هذا التنظيم سيفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير، وسوف يفكُّ حصار نظام عبد الناصر للإخوان، وسوف يُبقي قضية فلسطين حية، ويجبر الدول العربية على خوض الحرب.[41]

ويبدو أن قيادة الإخوان في غزة لم تأخذ المذكرة مأخذ الجد، فأهملتها ولم تردَّ عليها. وعلى ما يظهر فإن التوجه العام للقيادة كان يميل نحو التريث، والسلوك الأمني الحذر، والتركيز على التربية، والمحافظة على الذات، في أجواء ملاحقة النظام المصري، بعد عودته لإدارة القطاع. وربما انعكست طبيعة القيادة والتي تميل لعدم الدخول في مغامرات تراها غير محسوبة، في بيئة غير مواتية، على النظرة السلبية للمشروع.[42]

وعندما قدم ياسر عرفات وخليل الوزير إلى الكويت سنة 1957، أخذا ينشران فكرة فتح في الوسط الإخواني، وهو وسطهما الطبيعي. وكانا على معرفة بمعظم الخريجين من شباب الإخوان الذين وفدوا إلى الكويت. وكان لوجود اثنين من قيادة التنظيم الإخواني الخاص، هما يوسف عميرة ومحمد أبو سيدو، ممن سبقا خليل الوزير في القدوم للكويت، أثر كبير في تهيئة الظروف المناسبة لنشأة فتح في الوسط الإخواني الفلسطيني في الكويت؛ كما انضم إليهما أخ قيادي ثالث مقيم في الكويت هو سليمان حسن حمد.[43]

ويعترف عبد الله أبو عزة الذي كان في قيادة إخوان غزة، أن طرح عناصر فتح كان "منطقياً، وتتولاه عناصر قيادية إخوانية موثوقة". وأنه خلال ثلاث سنوات (1957–1960)، وقبل أن تتوصل قيادة إخوان غزة إلى إجابات وتصورات واضحة، في مقابل طرح فتح، كان الإخوان قد فقدوا أفراداً من أفضل عناصرهم؛ وإن "موثوقية وقيادية دعاة فتح في الإخوان، سهَّلت عليهم اقتناص أفراد كثيرين وممتازين من الإخوان". وتشير القراءة المتأنية لسلوك عناصر الإخوان التي شاركت في فتح في

السنوات الثلاث الأولى من نشأتها، على الأقل، إلى أن الكثير منها استمر في عضويته في الإخوان، وأنها استفادت من مواقعها القيادية والتنظيمية في تجنيد عناصر الإخوان النوعية.[44]

وكان من أبرز المؤسسين في قطاع غزة من ذوي الخلفية الإخوانية سليم الزعنون، وهاشم الخزندار، وصلاح خلف، وأسعد الصفطاوي، وسعيد المزيَّن (أبو هشام)، وغالب الوزير، وفتحي بلعاوي، ورياض الزعنون.[45]

وفي الأردن، بما في ذلك الضفة الغربية (التي تمّ توحيدها مع شرقي الأردن سنة 1950)، مثَّل الإخوان حاضنة مهمة وأساسية لبدايات حركة فتح. وبحسب هاشم عزام، الذي كان من الإخوان الذين انتموا لفتح في أواخر الخمسينيات، فإن قادة فتح في الأردن "كلهم كانوا إخوان مسلمين في البداية".[46] وكان من أبرز المؤسسين ذوي الخلفية أو الانتماء الإخواني في الضفة حمد العايدي (أبو سامي)، وعبد الفتاح حمود، ومحمد يوسف النجار، ورمضان البنا، وزكريا قنيبي، وموسى غوشة (شقيق إبراهيم غوشة). وفي شرقي الأردن في عمَّان كان من رواد الإخوان في فتح محمد غنيم (أبو ماهر)، ومحمد أبو سردانة، وعبد الله جبر. كما أبقى قادة فتح على صلتهم القوية بكامل الشريف.[47]

وكان من مؤسسي فتح ذوي الخلفية أو الانتماء الإخواني في السعودية سعيد المزيَّن، وعبد الفتاح حمود، وسعيد المسحال، وغيرهم. وفي قطر، قاد إنشاء فتح عضو الإخوان القادم من الضفة الغربية رفيق النتشة، وانضم إليه لاحقاً محمد يوسف النجار، وعبد الفتاح حمود، وكمال عدوان، وسعيد تيم، وغيرهم.[48]

وفي لبنان، كانت جماعة عباد الرحمن تمثل الوجه المعلن للإخوان المسلمين في خمسينيات القرن العشرين، وكان من رواد فتح فيها توفيق راشد حوري (الذي وضع على عاتقه إصدار مجلة فلسطيننا)، وهاني فاخوري، وزهير العلمي، الذي كان من شباب الإخوان البارزين في قطاع غزة، وانتقل للبنان في بداية الستينيات، ومحمد عبد الهادي (أبو الهيثم). وفي سورية، كان من مؤسسي فتح ذوي الخلفية الإخوانية هاني الحسن،[49] وأخيه علي الحسن.[50] وفي ألمانيا والنمسا يحيى عاشور (حمدان) القادم من قطاع غزة.[51]

أما القيادة الأولى لفتح، فيذكر خليل الوزير أن الاجتماع التأسيسي لفتح عُقد في الكويت، وحضره خمسة أشخاص، هم خليل الوزير، وياسر عرفات، وعادل عبد الكريم،

ويوسف عميرة، وتوفيق شديد. وفي الاجتماع الثاني تخلف توفيق شديد، فتابع الأربعة العمل.[52] والروايات عن نشأة فتح تعترف بالدور التأسيسي لهؤلاء الأربعة، حيث ثلاثة منهم لهم خلفيات إخوانية[53] والرابع (عرفات) مقرب من الإخوان.

وقد تعرَّض تنظيم الإخوان الفلسطينيين لهزة كبيرة، بخروج عدد لا يستهان به من عناصره القيادية التي شكلت حركة فتح، وهي عناصر نوعية تميزت بالكفاءة والحيوية وروح المبادرة؛ ومعظمها كانت قيادات وكوادر أساسية في التنظيم العسكري الخاص، الذي شكَّله الإخوان في النصف الأول من خمسينيات القرن العشرين. وقد وفَّرت أساليب التنظيم الخاص والتدريب والخبرة العسكرية التي اكتسبتها هذه العناصر، قاعدة مهمة وغنية لإطلاق حركة فتح من حيث انتهى التنظيم الخاص.

ويُظهر جدول مرفق في ملحق كتاب "الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني"، الصفحات 311–317، أسماء 50 شخصاً من الأعضاء المؤسسين والرياديين في حركة فتح، ممن لهم خلفية إخوانية. وبالرغم من أنه لا يعطي قائمة حصرية للأسماء، فإنه يعطي مؤشراً قوياً على نشوء فتح في الحاضنة الإخوانية. ويلاحظ من الجدول أن هناك 27 عضواً ممن انتظموا في فتح في فترة الخمسينيات، وهناك 14 شخصاً دخلوا في عضوية اللجنة المركزية لفتح. كما أن أغلب هؤلاء الخمسين (ثلاثين على الأقل) شغلوا مواقع متقدمة في الحركة في وقت من الأوقات. ويلاحظ أن حضورهم القيادي في الصف الأول كان حاسماً وطاغياً في مرحلة التأسيس خصوصاً 1957–1961، مقارنة بأي أشخاص لهم خلفيات حزبية أخرى ممن حصلوا على مواقع متقدمة، حيث كان عددهم نادراً.[54]

ولم يكن خلاف الإخوان الفلسطينيين مع فتح على فكرة المقاومة والجهاد، ولا على العمل في إطار وطني، وإنما على التوقيت، وإمكانات النجاح، والقدرة على التحكم في مسارات الحركة. وبحسب سليمان حمد الذي كان وسيطاً في المفاوضات التي جرت بين الطرفين، فإنها لم تنجح في الوصول إلى تفاهم؛ حيث رغبت قيادة الإخوان بالإشراف أو الهيمنة عملياً على فتح، بينما أصرت فتح على استقلاليتها، بالرغم من حرصها على بقاء الإخوان فيها. ولذلك قررت قيادة الإخوان الفلسطينيين سنة 1962 أن تلزم أفرادها "مزدوجي العضوية" بالاختيار إما بالالتزام بالجماعة أو بفتح؛ وفي المقابل، ألزمت فتح أفرادها أيضاً بالاختيار بين عضويتها وعضوية الجماعة، وحصل الانفصال

بين الطرفين. وكان من أواخر من أُخرج من الإخوان على عكس رغبته عضو اللجنة المركزية لفتح محمد يوسف النجار سنة 1966.[55]

لم تشعر فتح أنها خسرت كثيراً، فبالنسبة لعناصر فتح الإخوانية (التي أصرّت على البقاء في فتح) فقد كان لديها من القدرات والإمكانات المتميزة، وحالة الاندفاع والقوة والحيوية، ما يجعل من الصعب أو المتعذر على قيادة الإخوان التي تعيش ظروف السرية والانكفاء الذاتي وضعف الإمكانات، متابعة هكذا عمل يتمتع بدينامية عالية وبالانفتاح الشعبي والسياسي، ويحتاج إلى قرارات سريعة. وبحسب القيادي الإخواني عبد الرحمن بارود "لم يكن لدى الإخوان شخصيات قوية قادرة تستطيع إقناع مؤيدي فتح بثغرات مشروعها. كما لم تكن قيادات الإخوان تملأ أعين الفتحاويين ممن كانوا من الإخوان".[56] ثم إن انكشاف هكذا علاقة (وهو أمر ليس صعباً) كان سيضر بفتح وعملها.

وعلى أي حال، فلا ينبغي للإخوان أن يبالغوا في نسبة حركة فتح إليهم، كما لا ينبغي لحركة فتح أن تتنكر لجذورها وبداياتها الأولى، فإذا كان الإخوان هم المحضن الذي خرجت منه الفكرة وبداياتها الأولى، فإن فتح لم تنشأ بقرار من قيادة الإخوان ولا وفق خططهم، كما أن مشروعها لم يحمل أيديولوجية الإخوان، ولا الضوابط التي تضمن سيره كمشروع يخدم أهدافهم. وفي المقابل، فليس ثمة كثير فخر الآن لدى فتح بخلفيتها الإخوانية، وليس ثمة كثير فخر لدى الإخوان بخلفية فتح؛ خصوصاً وأن تأثير الخلفية اقتصر على البدايات الأولى، إذ لم يطل الزمان بفتح إلى أن تحولت إلى حركة علمانية براجماتية، بهوية وطنية، واجتهادات سياسية خاصة.

لعل أبرز درسين من هذه التجربة: أن العمل لفلسطين قد يحتمل تخفيف قوة الموجة، لكنه لا يحتمل الانكفاء والانعزال؛ وإن حدث فهو للاستثناء وللضرورة التي تقدر بقدرها. وإن عدم قدرة جماعة الإخوان على استيعاب وتوجيه طاقة مجموعة من أفضل كفاءاتها (لأسباب ذاتية وموضوعية)، قد أدى إلى خسارتها، وإلى ملء هذه الكفاءات للساحة الفلسطينية بطريقة أثّرت لاحقاً على المسار الوطني الفلسطيني.

والدرس الثاني هو أنّ أولئك الذين لا ينتبهون إلى ضبط مساراتهم وحسم خطوطهم الحمراء (العقائدية والأيديولوجية)، ويستجيبون للتكتيكات والاعتبارات البراجماتية المصلحية، ويتخففون من التزاماتهم (الدينية والسلوكية والفكرية)، قد يجدون أنفسهم

في نهاية المطاف، وقد ابتعدوا عن أهدافهم، وتغيرت معاييرهم، وتضاءلت قِيَمهم. إذ إن حالة "التديّن" لجيل التأسيس في فتح تحوّلت مع الزمن إلى تدين شخصي لعدد من الأفراد، ثم تلاشى تأثيرها في صناعة القرار وفي توجيه المسيرة... مع غلبة "الوطني" على "الديني" في شخصياتهم.

رابعاً: المسار من الإخوان إلى حماس:

من الناحية الشعبية، كان الإخوان المسلمون قوةً شعبية أولى، وسط قطاعات الفلسطينيين خلال الفترة 1949–1956 سواء في الضفة أم في القطاع، لما حققوه من سمعة جهادية في حرب 1948، ولما طرحوه من برامج إسلامية وطنية، حيث نعموا بحرية نسبية في مصر حتى أواخر 1954، وبأجواء مواتية في الأردن. وقد أدى تراجع الحضور الشعبي للإسلاميين الفلسطينيين في الفترة 1956–1967 إلى "نزيف" في عدد الأعضاء، وتراجع القدرة على اكتساب عناصر جديدة، كما تراجع حضورهم وتأثيرهم الاجتماعي والدعوي؛ ولم يكن لهم حضور مؤثر في الإطار السياسي. وبالرغم من أن أوضاع الإخوان في الأردن بما فيها الضفة كانت أفضل حالاً عنها في قطاع غزة؛ إلا أنّ الإخوان لم يكونوا رقماً في المعادلة، ولا عنصراً فاعلاً في إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، ولا في إنشاء المنظمات الفدائية الفلسطينية في تلك الفترة.

بعد انتهاء حرب 1948 وفي بداية الخمسينيات، كان الإخوان المسلمون يزدادون قوة ونفوذاً، خصوصاً في قطاع غزة. وفي القطاع أصبح الشيخ عمر صوان، رئيس المكتب الإداري في غزة. وكان مركز قيادة الإخوان حيث المكتب الإداري في حارة الدرج، وهناك 11 شُعبة أخرى في الرمال، وحارة الزيتون، والشجاعية، وخان يونس، ورفح، والبريج، والنصيرات، والمغازي، ودير البلح، وبني سهيلة، وبيت لاهيا. وخلال الفترة 1949–1956 كان الإخوان أقوى التيارات، والقوة السياسية الأولى في القطاع.[57] غير أن إخوان القطاع شهدوا حالة من التراجع الشعبي والدعوي والتنظيمي، بعد أن سدّد عبد الناصر ضربته القاسية للإخوان، وأخذ يلاحقهم، واستخدم إعلامه القوي في تشويه صورتهم. فأصبح التوجه العام لدى الإخوان والإسلاميين عموماً هو المحافظة على النفس، والانكفاء على الذات بانتظار ظروف أفضل.

في منتصف الخمسينيات، أعاد الإخوان في قطاع غزة ترتيب أوضاعهم بشكل سري تحت قيادة شابة أبرز عناصرها عبد الله أبو عزة وعبد البديع صابر. أما هاني بسيسو الذي كان أحد أبرز شباب الإخوان ومحطّ إجماعهم، فقد ذهب للتدريس في العراق في منطقة الزبير منذ سنة 1953؛ غير أن إخوان القطاع كانوا يسلمونه القيادة، أو لا يقطعون أمراً دونه، عندما يعود صيفاً.[58]

وفي بيئة من الضغوط القاسية، ووجود أجواء من التَّفلت والترك والتراخي لدى عناصر الإخوان، ومع تشتت الإخوان في عدد من البلدان، ومع نجاح حركة فتح في تجنيد الكثير من العناصر المتميزة من الإخوان؛ ارتأت قيادة الإخوان تحصين الوضع الإخواني وحمايته، فقررت إعادة بناء التنظيم حيث رتّبت اجتماعاً في صيف 1963 (وقيل في سنة 1962) حضره 15 مندوباً في مواصي (مزرعة) عيد الأغا في منطقة خان يونس. وقرر المشاركون إنشاء تنظيم "الإخوان الفلسطينيين"، وانتخبوا هاني بسيسو رئيساً لهم (مراقباً عاماً). فترك بسيسو التدريس في العراق، واستقر في القاهرة تحت غطاء الدراسات العليا للتفرغ لقيادة التنظيم، وانتُخِب عبد البديع صابر نائباً له. وشمل تنظيم الإخوان الفلسطينيين قطاع غزة وبلدان الخليج وسورية لكنه لم يشمل الأردن (بما فيها الضفة الغربية) حيث كان للإخوان تنظيمهم هناك.[59]

وفي سنة 1965 قبض النظام المصري على هاني بسيسو ضمن حملته على الإخوان، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، غير أنه لم يفرج عنه، وتوفي رحمه الله في السجن مصاباً بالحمى الشوكية سنة 1970.[60]

تولى عبد البديع صابر، الذي استقر في قطر، قيادة الإخوان الفلسطينيين في غياب هاني بسيسو، وتمّ تثبيته رسمياً مراقباً عاماً في اجتماع مجلس شورى الإخوان الفلسطينيين سنة 1969 في بيروت. غير أن عبد البديع استعفى من القيادة سنة 1970 فحلَّ مكانه نائبه عبد الله أبو عزة، إلا أن أبو عزة الذي تطورت لديه رؤى فكرية ناقدة لعمل الإخوان ولفكر سيد قطب؛ قدَّم استقالته من موقعه القيادي؛ ثم انسحب من جماعة الإخوان.[61]

حلَّ عمر أبو جبارة الذي كان أيضاً مسؤولاً عن الإخوان الفلسطينيين في الكويت، مكان أبو عزة، ثم تمّ تثبيته بانتخابه مراقباً عاماً في مجلس الشورى الذي عُقد سنة 1973، وانتخِب خيري الأغا نائباً له، وانتخِب معهم في اللجنة التنفيذية سليمان حمد ونادر الحاج عيسى وخليل حمد. وقدَّر الله أن يتوفى عمر أبو جبارة

رحمه الله في بداية صيف 1975 عندما وقع من فوق شاحنة صغيرة في أثناء تجهُّزه للسفر إلى الأردن؛ فتولى نائبه خيري الأغا قيادة الإخوان، أما سليمان حمد فحلَّ مكان أبو جبارة في قيادة الإخوان الفلسطينيين بالكويت. وفي اجتماع مجلس الشورى خلال السنة نفسها انتخِب خيري الأغا مراقباً عاماً، وسليمان حمد نائباً له.[62]

كان بين الأغا وحمد تناغم كبير خصوصاً في الاهتمام بالعمل الجهادي لفلسطين وفي الاهتمام في قطاع الشباب والطلاب. فقد كان الأغا أحد قادة التنظيم العسكري الخاص في القطاع (1952–1954)، وكان حمد أحد مؤسسي حركة فتح (والتي تركها لاحقاً). وقد توافق ذلك التناغم تماماً مع شخصية الشيخ أحمد ياسين الذي تولى قيادة الإخوان في قطاع غزة بعد الاحتلال الإسرائيلي للقطاع سنة 1967، خلفاً لإسماعيل الخالدي؛ وكان نائبه عبد الفتاح دخان.

وكان توحيد تنظيمَي الإخوان الفلسطينيين والأردنيين[63] علامة فارقة في تاريخ الإخوان. ففي اجتماع اللجنة التنفيذية للإخوان الفلسطينيين في صيف 1976، وضعت اللجنة مشروع قرار يقضي باندماج التنظيم الفلسطيني مع تنظيم الإخوان المسلمين في الأردن في الداخل والخارج. وكان أصل الفكرة قائماً على دمج التنظيمات الإخوانية في تنظيمات إقليمية، حيث تتوحد مثلاً تنظيمات الإخوان في الأردن وسورية وفلسطين ولبنان في تنظيم بلاد الشام؛ وقِسْ عليها مصر والسودان، وشمال إفريقيا. وحدثت مشاورات واستقراءات لآراء الإخوان في مختلف الأقطار. وعُرض ذلك على مجلس الشورى للتنظيم الفلسطيني، في دورته في صيف 1977، فوافق عليه بالإجماع. وكُلفت اللجنة التنفيذية برفع الفكرة إلى مكتب الإرشاد فوافق عليها وشجعها، وكذلك قامت اللجنة التنفيذية بمناقشة الفكرة مع القيادة في الأردن، فلقيت منها ترحيباً حاراً. وطرحت الفكرة على مجلس شورى الإخوان في الأردن بوجود خيري الأغا وسليمان حمد، فوافق المجلس عليها بالإجماع. وخلال سنة 1978 تمّ حلُّ مجلسَي شورى الإخوان الأردنيين والإخوان الفلسطينيين؛ وتمّ انتخاب مجلس جديد، وفق لائحة جديدة، وانتُخبت قيادة جديدة برئاسة محمد عبد الرحمن خليفة، وانضمت تشكيلات الإخوان الفلسطينيين في غزة والكويت والسعودية وقطر والإمارات لهذا التنظيم، الذي أطلق عليه "بلاد الشام". وبالرغم من أن ظروفاً عملية وموضوعية حالت دون انضمام إخوان سورية ولبنان للتنظيم إلا أنه حافظ على اسم "بلاد الشام".

كانت الضفة الغربية تتبع للتنظيم الأردني، وكان قطاع غزة يتبع للتنظيم الفلسطيني. وعندما توحد التنظيمان، انبثق عن هذا التنظيم الجديد لجنة متخصصة تتابع الشأن الفلسطيني في الداخل، وخصوصاً في الضفة والقطاع. وكان من أبرز العاملين فيها قنديل شاكر وأبو بشير سعد الدين الزميلي، بالإضافة إلى متابعة أمين السر يوسف العظم لأعمالها. وتمّ ترتيب تشكيل مكتب إداري للضفة والقطاع في داخل فلسطين، تقوم هذه اللجنة بمتابعته. وتولى رئاسة هذا المكتب راضي السلايمة من القدس، ثم خلفه عبد الفتاح دخان من خان يونس.

في 20 و1983/10/21 عُقد مؤتمر داخلي لفلسطين، وهو المؤتمر الأول الخاص بالقضية الفلسطينية الذي يعقده تنظيم بلاد الشام، ليبحث في توحيد الفهم وفي أسس ومنطلقات ووسائل العمل لفلسطين، وفي إطلاق برامج العمل المتعلقة بها. وقد تمّ عقد هذا المؤتمر في الأردن بحضور ممثلين عن مناطق التنظيم المختلفة بما في ذلك قطاع غزة. وانصبَّت مُخرجاته التي توزعت على عشر صفحات على التأكيد على أن العمل لقضية فلسطين ومشروع التحرير لا يتناقض مع مشروع إقامة الدولة الإسلامية، وأنهما خطان متوازيان يسيران جنباً إلى جنب ويكمل بعضهما بعضاً. واتخذ في إطار التنظيم الداخلي 26 قراراً لتطوير ودعم العمل على الساحة الفلسطينية بما في ذلك تفريغ جهاز خاص أو لجنة... للعمل الفلسطيني الإخواني بحيث يضع الخطط والدراسات ويتولى تأمين متطلبات الإعداد والاستعداد؛ وقيام قيادة واحدة للتنظيم في داخل فلسطين بالنسبة للأمور الحركية وشؤون الدعوة...، مع فصل المناطق عن بعضها فيما يتعلق بالعمل الجهادي. وكانت هناك قرارات متعلقة بالقدس ومركزيتها، وبالأنشطة الدعوية والشعبية والتعليمية والإعلامية. كما عالجت مُخرجات المؤتمر العمل الجهادي على الساحة الفلسطينية، وأكدت على ضرورة الاستعداد العسكري وتهيئة الوسائل المناسبة لإنجاحه. كما قرر المؤتمر تأليف لجنة مهمتها متابعة قراراته ووضعها موضع التنفيذ.[64]

ومن خلال الحوارات والمناقشات، طُوِّرت الفكرة باتجاه اقتراح جسم مركزي يتابع العمل لفلسطين في الداخل والخارج ويشرف عليه. رُفع المشروع إلى قيادة الإخوان في الأردن فوافقت على إنشاء هذا الجسم باسم "قسم فلسطين" في تشرين الأول/ أكتوبر 1985، ثم أصبح لاحقاً يُعرف باسم "جهاز فلسطين". وقد وافق خيري الأغا على قيادته فانطلق العمل فيه بقوة بعد ذلك. وأصبح هذا الجهاز يدير العمل الفلسطيني، وهو الجهة المعنية بمتابعة الداخل الفلسطيني، ويملك صلاحيات واسعة، غير أنه ظلّ ملتزماً بالعمل تحت سقف تنظيم بلاد الشام.

وفي صيف سنة 1985 اتخذت قيادة الإخوان المسلمين قراراً باستغلال أيّ أحداث للاشتراك في المواجهة ضدّ الاحتلال، أي قبل سنتين من بدء الانتفاضة. وقد استشهد اثنان من شباب الإخوان في المواجهات التي شهدتها جامعة بيرزيت سنة 1986. ويبدو أن قيادة الخارج أعطت للداخل صلاحية اختيار التوقيت المناسب.[65]

وفي 1987/10/23 اتخذ المكتب، الذي كان مجتمعاً في بيت حسن القيق، في دورا قضاء الخليل، قراره بإطلاق المقاومة ومواجهة الاحتلال، وقد حضر ذلك الاجتماع حسن القيق، وعبد الفتاح دخان، وحماد الحسنات، وإبراهيم اليازوري، وعدنان مسودي، وناجي صبحة، ومحمود مصلح، وفضل صالح، وغاب عن الاجتماع سعيد بلال رحمه الله لأنه لم يستطع الوصول إلى المكان. وقد قرر المجتمعون أن يتركوا لكل مدينة الخيار بأن تعمل بالكيفية التي تراها مناسبة.[66] فكانت غزة هي المبادرة، إثر حادث دعس العمال الأربعة في 1987/12/8، لتنطلق بعد ذلك حركة حماس.

خامساً: تطلعات ومسارات جهادية:

لعل الإخوان دفعوا ثمناً غالياً بخسارتهم لمجموعة من أفضل عناصرهم وقياداتهم الذين انضموا لفتح، وترافق معه ثمن اضطرارهم للخروج من دائرة التأثير الفلسطيني. ومع الزمن تكرَّست فكرة حفظ الذات والتركيز على التربية والعمل السري، وتكرست مدرسة تُشدد على البناء التربوي والتنظيمي والتوسع الدعوي حيثما أمكن؛ وظهرت بعض الأجواء الداخلية التي تعودت على فقه "غير ذات الشوكة"، في ضوء عظمة الشعارات وتواضع الإمكانات. وفي المقابل أخذت تتصاعد تساؤلات في الوسط الإخواني تتساءل عن المدى المطلوب في الاتساع التنظيمي والدعوي للانتقال إلى العمل الجهادي والعسكري؛ مع الخشية أن تتحول من حالة مؤقتة إلى حالة دائمة.

ومن ناحية أخرى، فإن قضية فلسطين بطبيعتها المتفجرة ومتغيراتها وحالة الصراع الدائم مع الاحتلال والعدوان، وبروز مخاطر تستدعي المسارعة لمجابهتها وظهور فرص لا يكفي العمل السري التربوي لاقتناصها، جعل مسألة العمل العسكري حاضرة في نقاشات القيادة والقاعدة الإخوانية. كما أنه في الفترة التي تلت حرب 1967، أصبحت مسألة "المصداقية" والجدية في العمل لفلسطين في أعين الشعب الفلسطيني مرتبطة بالقدرة على مجابهة العدو وخصوصاً في العمل المسلح.

معسكرات الشيوخ:

إثر حرب 1967، وبروز العمل الفدائي الفلسطيني وانتشار قواعده خصوصاً في الأردن، تصاعدت الرغبة لدى شباب الإخوان في المشاركة في المقاومة المسلحة. وحدث جدل بين رأيين، أيّد الأول إنشاء فصيل مستقل، بينما دعم الثاني مشاركة الإخوان في العمل الفدائي لكن ليس تحت اسمهم الصريح. غير أنه عندما بادر بعض شباب الإخوان بتلقي تدريبات عسكرية مكثفة في معسكرات فتح 1967، من بينهم أحمد نوفل وداود قوجق ومشهور حسن حيمور، وحاولوا إنشاء قواعد مستقلة لهم في أحراش دبِّين، قامت قوة عسكرية من فتح بمحاصرتهم وقبضت عليهم ومنعتهم من إنشاء قاعدة مستقلة.[67] وكان واضحاً من الرسالة أن العمل الإسلامي المستقل غير مرحب به.

لقيت حماسة إخوان الأردن لإنشاء معسكرات للعمل الفدائي تشجيعاً ودعماً من تنظيم الإخوان المصريين المقيمين في الخارج، ومن إخوان الكويت والسودان في المكتب التنفيذي الذي يشرف على تنظيمات الإخوان المسلمين. ثم ما لبثت أن دعمت الفكرة تنظيمات الإخوان السوريين والعراقيين واللبنانيين.[68]

وأصدرت قيادة الإخوان المسلمين قراراً بفتح معسكرات لتدريب الإخوان ومؤيديهم، حيث استفاد الإخوان من أجواء حرية العمل الفدائي والتأييد الشعبي الهائل له، والذي ظهر خصوصاً بعد هزيمة 1967، غير أن الإخوان لم يستطيعوا العمل باستقلالية كاملة نتيجة أجواء العداء ضدّ الإسلاميين التي كانت ما تزال مستمرة، وبالذات من عبد الناصر والقوى اليسارية...، بالإضافة إلى صعوبة التمويل.

كان الترتيب أن يعمل الإخوان تحت راية فتح، وتشكلت لجنة للتنسيق بين فتح والإخوان، حيث مثَّل الإخوان سعد الدين الزميلي (أبو بشير)، وإسحق الفرحان، وعبد خلف داودية، ومثّل فتح محمد راتب غنيم ومحمد يوسف النجار؛ وكلاهما ذوا خلفية إخوانية.[69]

غير أن قيادة التنظيم الفلسطيني لم تتبنَّ المشاركة في هذه المعسكرات، على أساس أن هذا العمل العسكري سابق لأوانه، وقررت عدم إطلاق العمل المسلح لأنها ترى أنه لا طائل منه حسب تقديرها للموقف من: تغوّل وتمكّن صهيوني، وضعف عربي، وعدم القدرة في ضوء الإمكانات الضعيفة على إحداث تأثير إيجابي؛ وأكدوا أن المطلوب هو بذل

كل الطاقات لتجميع القوى العربية تحت راية الإسلام لهزيمة الصهاينة. غير أن قيادة التنظيم الفلسطيني لم تمنع من يرغب من أفرادها من الانضمام إلى هذه المعسكرات، كما دعمتها مادياً.[70]

وقد وافقت حركة فتح على توفير الغطاء لهذه المعسكرات، كما التزمت بتقديم التموين والسلاح والذخيرة، بالإضافة إلى مصاريف المتطوعين، وكانت العمليات الفدائية تحدث بالتنسيق مع فتح؛ بينما كان للإخوان معسكراتهم الخاصة، ولهم حريتهم الكاملة في إدارتها، وفي تصريف أمور التدريب والانتقاء، وشؤونهم الخاصة. وقد تمّ تدريب نحو 300 رجل توزعوا على سبع قواعد فدائية.[71] وشارك في هذه القواعد أفراد من جنسيات عربية مثل فلسطين، والأردن، وسورية، ولبنان، والسودان (نحو سبعة سودانيين)، ومصر، واليمن.[72]

ومن العمليات البارزة التي نفّذتها معسكرات الشيوخ عملية "الحزام الأخضر" في 1969/8/31، بالتعاون مع فتح، حيث استهدفت ثلاث مستعمرات متقاربة هي "ياردينا Yardena" و"بيت يوسف Beit Yosef" و"نيفي أور Neve Ur"، وتمّ الهجوم في ليلة واحدة، وكانت أصداؤها مدوية؛ وعملية "دير ياسين"، المشتركة مع فتح، في الجولان ضدّ مستعمرة "ناحال هجولان" في ليلة 1969/9/15، حيث تمّ تدمير نادي الضباط ومحطة للوقود ومستودعات التموين وسيارات عسكرية إسرائيلية.[73] أما عملية 1970/6/5 فقد شارك فيها 6 من المجاهدين حيث تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام، واعترف الصهاينة بـ 12 قتيلاً، واستشهد من المجاهدين 3 منهم مهدي الإدلبي من قاعدة "بيت المقدس" التي يقودها الشيخ عبد الله عزام، وبلال المقدسي من قاعدة "غزة".[74]

وحسب عبد العزيز علي فإن عدد شهداء معسكرات الشيوخ خلال الفترة 1968–1970 بلغ 11 شهيداً،[75] غير أن عبد الله عزام يذكر أن عددهم كان 13 شهيداً، ومن هؤلاء الشهداء رضوان كريشان، ورضوان بلعة الدمشقي، ومحمد سعيد باعباد الضابط اليمني، وأبو الحسن إبراهيم الغزي.[76]

استعادة الشعبية:

بعد كارثة حرب 1967 والاحتلال الإسرائيلي لباقي فلسطين وسيناء والجولان، أخذ التيار الإسلامي يستعيد حيويته وسط الفلسطينيين، وتزايد الاتجاه نحو الإسلام، بعد

أن رأت الجماهير فشل الأيديولوجيات القومية والعلمانية واليسارية في حلّ القضية. وبشكل عام، فإن الإخوان المسلمين الذين أخذوا يستعيدون حالتهم الشعبية (مع تصاعد الصحوة الإسلامية) في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، وضعوا المقاومة المسلحة نصب أعينهم، ولكنهم قرروا التريّث ريثما يستكملون استعداداتهم ويشكلون عملاً عسكرياً يستعصي على الاستئصال... ولذلك كان ظهور حماس بشكلها الناضج ثمرة طبيعية لجهود طويلة... وتحولاً محسوباً في جماعة متجذرة في الواقع الفلسطيني.

وكما نشطت الفصائل الفلسطينية في إنشاء المؤسسات المدنية التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية، فقد نشط الإخوان أيضاً في إنشاء المؤسسات المدنية، وفي بناء المساجد في فلسطين، واستخدامها في نشر دعوتهم. وقاموا ببناء العديد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة. وتمّ بناء أطر ومؤسسات داعمة للشعب الفلسطيني في الخارج، كما تمّ تأسيس عدة واجهات للعمل الطلابي الإسلامي الفلسطيني في الكويت وبريطانيا وألمانيا وأمريكا. ومع استمرار الوقت أخذت تتزايد الجمعيات الخيرية الإسلامية ولجان الزكاة والتكافل الاجتماعي، كما تضاعفت أعداد المساجد في الضفة وقطاع غزة، وأصبح الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي هما الأكثر رواجاً. وفي قطاع غزة برز دور المجمع الإسلامي والشيخ أحمد ياسين، وأصبحت الجامعة الإسلامية بغزة أحد أهم المعاقل الإسلامية، وتزايدت أعداد المساجد من 200 مسجد سنة 1967 إلى أكثر من 600 مسجد سنة 1987.

وقويت الظاهرة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة 1948، وأصبحت تحظى بشعبية متزايدة؛ وبرز في قيادتها الشيخ عبد الله نمر درويش، والشيخ رائد صلاح، والشيخ كمال الخطيب... وغيرهم.

جذور العمل العسكري لحماس:

كان سؤال الجهاد حاضراً منذ البداية لدى الشيخ أحمد ياسين الذي تولى قيادة الإخوان في داخل قطاع غزة منذ أيلول/ سبتمبر 1967 خلفاً لإسماعيل الخالدي. إذ كان رحمه الله تواقاً للعمل العسكري في القطاع، وأبدى رغبته في إطلاقه، لكن إخوانه في قيادة القطاع، وفي قيادة الإخوان الفلسطينيين في الخارج، كانوا يرون أن أولوية المرحلة هي للعمل التربوي وإعادة بناء التنظيم، خصوصاً في ضوء ضعف الإمكانات وقلة عدد الإخوان. كما بقي سؤال الجهاد حاضراً لدى عدد ممن شارك في تأسيس فتح ثم تركها

التزاماً بقرار الجماعة أمثال سليمان حمد، أو ممن ظلّ في الجماعة ممن له عضوية سابقة في العمل العسكري السري أمثال خيري الأغا، ومحمد الخضري، وفوزي جبر.

وبشكل عام، أخذت جدلية العلاقة بين الإعداد التربوي وكسب الأنصار وبين المقاومة والخشية من أثمانها من اعتقال واستشهاد وإغلاق مؤسسات...، خطاً عملياً، فالإعداد التربوي وتجميع العناصر مهم لكنه ليس عملية لا نهائية، ويكفي وجود قواعد وأنوية صلبة قادرة على العمل والاستمرار، وعملية المقاومة هي بحدّ ذاتها عملية تربوية تصقل المعادن وتصنع الرجال، ثم إن الإعداد التربوي (خصوصاً عندما يكون تحت الاحتلال) جوهره المقاومة والتضحية، ولا بدّ من بناء التنظيمات على هذا الأساس.

في أواخر السبعينيات، صار الإخوان أكثر ثقة بأنفسهم مع صعود شعبيتهم واتساع تنظيمهم؛ ولذلك عاد التطلع من جديد للعمل العسكري، خصوصاً في أجواء تصاعد الجهاد في أفغانستان، ونجاح الثورة في إيران، بالتزامن مع المعارك والمواجهات التي كانت تخوضها المقاومة الفلسطينية في لبنان، ومع أجواء الغضب والتحدي التي أثارتها معاهدة كامب ديفيد، ودخول مصر في مسار التسوية.

وفي 1979، تشكَّل تنظيم "أسرة الجهاد" في قرى المثلث العربي، وكان على ما يبدو على علاقة بسعيد بلال (من قيادة الإخوان في الضفة الغربية). وقام هذا التنظيم بتدمير العشرات من المرافق الاقتصادية، وإحراق السيارات والمعامل والبساتين الإسرائيلية. وقد تمكّن الكيان الإسرائيلي من كشف التنظيم في السنة التالية، واعتقل العشرات من أفراده (أكثر من ستين عنصراً) من قرى أم الفحم وكفر قاسم وقلنسوة وباقة الغربية، وكان من أبرز قياداته فريد أبو مخ والشيخ عبد الله نمر درويش اللذان حُكِمَ عليهما وعلى رفاقهما بالسجن مُدداً مختلفة.[77]

في النصف الثاني من سنة 1979، بدأ التحضير لتأسيس عمل عسكري لدى الإخوان الفلسطينيين في الكويت، وكان لخالد مشعل دور أساسي في ذلك، وبرعاية خاصة من سليمان حمد رئيس المكتب الإداري لتنظيم بلاد الشام في الكويت آنذاك، وأخذت القيادة ترسل كوادر مختارة (من الخارج) بسرية تامة، منذ سنة 1980، للتدريب العسكري في عدد من الساحات التي توفرت فيها الفرصة، وقامت بتدريب الكثير من الكوادر من عدد من البلدان، وفرَّغت عدداً من الأفراد للعمل العسكري والأمني.[78] وفي الوقت نفسه، استفادت دائرة العمل العسكري في الخارج من الخبرة العسكرية لكوادر من كتيبة

الجرمق (الكتيبة الطلابية) الذين قاتلوا في الجنوب اللبناني، والذين تحولوا للاتجاه الإسلامي، ومن آخرين من أصحاب الخبرة والاختصاص العسكري في الأمة.

تمّ تشكيل نواة ترعى العمل العسكري في 1981–1982 بقيادة مشعل. وتوسعت في تدريب كوادر منتقاة من عدد من البلدان في الخارج 1984–1985. ثم قام جهاز فلسطين، بعد تشكيله بإنشاء لجنة مركزية للعمل الإيجابي (العسكري) تحت إشراف مشعل وبرئاسة محمد الخضري. وتابعت اللجنة تجنيد الإخوان من أبناء الداخل خصوصاً ممن يقيم ويدرس في الخارج ويمكنه العودة، ومن ثم "زرعهم" للعمل في الداخل في مقاومة الاحتلال. كما تواصلت اللجنة في أوائل 1988 مع صلاح شحادة المسؤول عن العمل العسكري في غزة، من أجل تنسيق العمل بين الداخل والخارج.[79]

وتمّ تأسيس العمل الأمني في الخارج سنة 1981، وتمّ فرز طاقم متخصص له، وفي 1986 أخذ العمل الأمني بُعداً مركزياً على مستوى الجهاز، غير أنه دخل كاختصاص ضمن لجنة العمل العسكري إلى أن تمّ ترتيبه كدائرة مستقلة في قيادة الجهاز لاحقاً.[80]

يُعدُّ الشيخ أحمد ياسين، المؤسس الفعلي للعمل العسكري على الأرض داخل فلسطين، بتأسيس الجهاز العسكري في القطاع. فقد بدأ الشيخ أحمد ياسين في أواخر 1982 أوائل 1983 بإعطاء أولوية للعمل العسكري. وشكّل لجنة سرية بقيادته مسؤولة عن الإعداد والعمل الجهادي مكونة من عبد الرحمن تمراز، وإبراهيم المقادمة، وأحمد الملح. وفي نيسان/ أبريل 1983 أوفد الشيخ أحمد ياسين تمراز للأردن حيث طلب أموالاً لشراء السلاح فقابل يوسف العظم، باعتباره أمين سر الجماعة، فأعطاه دعماً أولياً. وعندما اطلع الإخوان المعنيون بالعمل لفلسطين في الكويت على الأمر، قرروا دعم العمل العسكري في غزة، وأرسلوا ما لا يقل عن 30 ألف دينار كويتي (نحو 100 ألف دولار أمريكي)؛ عن طريق يوسف العظم، حيث كان للشيخ عمر الأشقر وإخوانه في الكويت دور أساسي في توفير التمويل. وتمّ شراء 80 قطعة سلاح، وتدريب عدد من الكوادر في داخل القطاع وفي الخارج. غير أن هذا العمل انكشف، وتمّ القبض على عدد من الإخوة على فترات كان آخرهم الشيخ أحمد ياسين في منتصف تموز/ يوليو 1984. وحُكم بالسجن على أحمد ياسين 13 عاماً، وعلى تمراز 12 عاماً، ومحمد شهاب 10 أعوام، وإبراهيم المقادمة ثمانية أعوام ونصف، وعلى صلاح شحادة عامين. وقد أُفرج عن الشيخ أحمد ياسين

في عملية تبادل الأسرى التي تمت في 1985/5/20، بين الجبهة الشعبية – القيادة العامة والكيان الإسرائيلي.[81]

كان هناك خلايا أخرى لم تُعتقل، وواصلت العمل مثل مجموعة المغرافة بقيادة عدنان الغول التي قامت بعدد من العمليات في الفترة 1985–1986، منها استهداف شاحنة عسكرية، وإطلاق النار على ضابط مخابرات، وتصفية عدد من العملاء.[82]

وبعد تشكيل جهاز فلسطين سنة 1985، قرَّرت القيادة "دعوة كافة عناصرها في كافة أماكن تواجدهم في فلسطين المحتلة إلى المشاركة في المظاهرات والصدامات مع العدو المحتل بل والدعوة إليها". وفي ضوء ذلك، أجمعت القيادة في غزة في سنة 1986 على بدء العمل العسكري. وقد أعيد بناء الجهاز العسكري من جديد تحت اسم "المجاهدون الفلسطينيون"، وعاد الشيخ أحمد ياسين لقيادة هذا الجهاز في منتصف حزيران/ يونيو 1987؛ وفي 1987/11/17 تقرر إطلاق العمل العسكري، حيث أوكل الشيخ أحمد لصلاح شحادة مسؤولية تشكيل الجهاز العسكري في شمال قطاع غزة، وأوكل لعبد العزيز الرنتيسي مسؤولية تشكيل الجهاز العسكري في جنوب قطاع غزة. ونظراً لاعتقال الرنتيسي إدارياً في 1988/1/15، فقد ألقيت مسؤولية الجهاز على صلاح شحادة.[83]

وقبل انطلاق الانتفاضة المباركة في 1987/12/9، كان صلاح شحادة قد شكَّل مجموعات عسكرية، منها مجموعة بيت حانون بقيادة صبحي اليازجي التي نفَّذت عدة عمليات عسكرية، ومجموعة مخيم جباليا بقيادة فتحي حماد التي نفَّذت أيضاً عدة عمليات، ومجموعة جباليا (المجموعة 101) بقيادة محمد الشراتحة التي عملت قبل الانتفاضة بشهور وهاجمت سيارات مستوطنين في أيلول/ سبتمبر 1987.[84]

من جهة أخرى، قام عبد الرحمن تمراز بطلب من الشيخ أحمد ياسين في سنة 1983 بتشكيل "جهاز أمن الدعوة"، وكان ليحيى السنوار دور أساسي في قيادته. وبعد خروج الشيخ أحمد ياسين في صفقة التبادل بعد نحو عشرة أشهر (1985/5/20)، استجاب لضغط إخوانه في متابعة هذا الجهاز. وفي سنة 1986 تمّ تشكيل منظمة الجهاد والدعوة "مجد" كقوة عسكرية ضاربة تتبع الجهاز الأمني، برئاسة يحيى السنوار، الذي ضمّ إلى جانبه روحي مشتهى؛ مهمتها مقاومة الفساد والمفسدين، ثم تشعبت مهامها في مقاومة العملاء وغير ذلك.[85]

حركة الجهاد الإسلامي:

شهدت سنة 1980 إنشاء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي قام بتأسيسها عدد من الشباب الفلسطيني الدارس في الجامعات المصرية برئاسة الدكتور فتحي الشقاقي رحمه الله. وكان الدكتور الشقاقي قد انضم لجماعة الإخوان المسلمين في القطاع بزعامة الشيخ أحمد ياسين سنة 1968، واستمر في أطر الإخوان إلى أواخر السبعينيات.[86]

ويذكر الشقاقي الذي ولد في غزة سنة 1951 (عائلته تنتمي أصلاً إلى قرية زرنوقة قضاء الرملة)، والذي درس الطب في جامعة الزقازيق بمصر 1974–1981، أن فكرة إنشاء حركة الجهاد الإسلامي نشأت أيام الدراسة الجامعية، وأنه كان هناك خلافات بينه وبين الإخوان في المنهج والتغيير وقضية فلسطين، والموقف من الأنظمة ومن العالم الواقع والأدب والفن. وأضاف أنه كان يشعر أنه "ليس لدى الإخوان منهج، وأن هناك فوضى في المفاهيم في إطار الحركة...".[87]

وانتقد الشقاقي ما عدَّه سكونية مناهج التكوين لدى حركة الإخوان، والتخبط في طرائق العمل، وإهمال جانب التخطيط، وطغيان مبدأ السلامة والمبالغة فيها.[88] غير أن الشقاقي يرى أن حركة الإخوان المسلمين حركة أم للتيار الإسلامي في المنطقة، وأن البنا كان رائداً كبيراً، وقال: إنه وحركته يكنون "كل احترام وتقدير لهذه الحركة على دورها التربوي وحفظها للإسلام في المنطقة".[89]

وقال الشقاقي: إنه مع مجيء 1978 كان التمايز واضحاً بينه وعدد من زملائه وبين الإخوان، وتابع الشقاقي الثورة الإيرانية باهتمام، وانتهى من إعداد كتابه "الخميني: الحل الإسلامي والبديل" في كانون الثاني/ يناير 1979 قبيل نجاح الثورة، والذي صدر بعد نجاحها بأيام، ولم يلتقِ بأي مسؤول إيراني قبل ذلك، وقد اعتقل ليلة صدور الكتاب مدة أربعة أيام بسبب نشاطه الإسلامي في الجامعة، ثم أعيد اعتقاله في 1979/7/20 لأربعة أشهر، وبعد خروجه من السجن انقطعت صلته التنظيمية بالإخوان، حيث شعر أن فكرة "التأثير والتوافق لم تعد قائمة" بينه وبين الإخوان، فبدأ بتشكيل نواة حركة الجهاد الإسلامي في بداية 1980.[90]

وقبل أن يعود الشقاقي إلى فلسطين سنة 1981، كان قد سبقه عدد من إخوانه الذين تخرجوا في سنة 1980 من الجامعات المصرية، وبدأوا نشاطهم داخل الأرض المحتلة. وقد التحق الشقاقي بمستشفى فكتوريا بالقدس لمدة سنتين إلى أن اعتقل في سنة 1983 لمدة عام لإصداره مجلة الطليعة، ثم أعيد اعتقاله في سنة 1986 وحكم عليه بالسجن أربعة

أعوام بتهمة تشكيل تنظيم سري عسكري، ثم أُبعد في سنة 1988 إلى لبنان، حيث عاش سنة واحدة، ثم انتقل إلى دمشق.[91]

وحسب فكرة حركة الجهاد الإسلامي فإنها جاءت لتعبِّر عن "الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحرير"، وأنها عندما قامت "كانت قوة تجديد داخل الفكر الإسلامي وداخل الحركة الإسلامية على مستوى الفكرة والمنهج والتنظيم وعلى مستوى الأداء داخل فلسطين".[92] وبشكل عام، فإن الحركة ركزت على المعاني الجهادية، وتحرير الوطن، وتنظيم العناصر للقيام بالعمليات العسكرية، وتأثرت بتجربة الجهاد الإسلامي في مصر، والتجربة الإيرانية، والتجربة القسامية. وحافظت على علاقة متينة بإيران منذ إنشائها وحتى الآن.

وقد انضم للحركة التي أنشأها فتحي الشقاقي مجموعتان، لهما تقريباً التوجهات السياسية والجهادية نفسها؛ حيث كانت المجموعة الأولى هي "سرايا الجهاد الإسلامي"؛ وهي مجموعة يعود أصل تكوينها إلى عناصر من حركة فتح، تمركزت أساساً في قلعة الشقيف في لبنان، وتميزت بخبرتها وتكوينها العسكري. وبرز في توجيهها المفكر الفلسطيني المعروف منير شفيق، وفي قيادتها العسكرية أبو حسن قاسم "محمد محمد بحيص"، وحمدي "محمد باسم سلطان التميمي". وهي التي يُعتقد أنها نفذت أشهر عمليات الجهاد الإسلامي في الثمانينيات، وهي عملية باب المغاربة في 1986/10/16، والتي أدت إلى إيقاع ثمانين إصابة بين قتيل وجريح من لواء "جفعاتي Givati" العسكري الإسرائيلي. أما المجموعة الثانية فقد شكَّلها إبراهيم سربل الذي أعطى هو ومن معه البيعة للشيخ أسعد بيوض التميمي، وعرفت بالجهاد الإسلامي وقد فضلت هذه المجموعة فيما بعد الانسحاب من الوحدة مع الشقاقي ورفاقه.

***

من ناحية أخرى، تطور العمل الإسلامي المقاوم في لبنان إثر الاجتياح الإسرائيلي 1982، واضطرار المقاومة الفلسطينية للانسحاب. فظهرت قوات الفجر التابعة للجماعة الإسلامية، كما ظهر حزب الله الذي أصبح قوة المقاومة الأكبر في جنوب لبنان. وقد نشطت فعاليات المقاومة الإسلامية ضدّ الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان وأجبرته على الانسحاب من صيدا وأجزاء واسعة من الجنوب سنة 1985، ليعيد تموضعه في "حزام أمني" حدودي، إلى أن انسحب نهائياً تحت ضربات المقاومة في 2000/5/25.

المبحث الثاني
نحو الصدارة العسكرية والشعبية
2022–1987

أولاً: المسارات العامة:

- شهدت هذه الفترة بشكل عام صعوداً شعبياً للتيار الإسلامي الفلسطيني، كما تصدر هذا التيار المقاومة الفلسطينية المسلحة من خلال حركتَي حماس والجهاد الإسلامي. وفرض التيار الإسلامي نفسه على الساحة الفلسطينية، فلم يعد بالإمكان تحييده أو تهميشه أو تجاوزه.

وبالرغم من حالة "الجَزْر" التي شهدها في الفترة 1994–2000، إلا أنه سرعان ما استرد قوته وعافيته، فحققت المقاومة الإسلامية قفزات نوعية في انتفاضة الأقصى 2000–2005، وفي الارتقاء بالعمل العسكري في قطاع غزة، وفي الدفاع عنه في المعارك والحروب ضدّ العدو الصهيوني 2008–2009، و2012، و2014، و2021، و2022. كما كان لها دورها الأساسي في المقاومة الشعبية والمسلحة في الضفة الغربية بما فيها القدس.

وأصبح للتيار الإسلامي قاعدته وسلطته المقاتلة في قطاع غزة، التي بالرغم من تعرضها للحصار الخانق، إلا أنها تمكنت من الصمود ومن تطوير إمكاناتها العسكرية، ومن تجنيد وتدريب عشرات الآلاف من المقاتلين.

- على الصعيد الشعبي، حقّق التيار الإسلامي (وتحديداً حماس) صعوداً كبيراً وحافظ على مكانة شعبية متقدمة خصوصاً في العقدين الأوليين من القرن الـ 21. وتمكنت حماس من تحقيق أغلبية ساحقة في المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية في الضفة والقطاع سنة 2006؛ ومنذ ذلك الوقت تتجنب قيادة منظمة التحرير (قيادة السلطة وفتح) إجراء انتخابات نزيهة وشفافة على صعيد السلطة وعلى الصعيد الفلسطيني في الداخل والخارج، وتتابع تعطيل مسار المصالحة وإعادة بناء منظمة التحرير وتفعيلها.

ومنذ سنة 2007 تابعت فتح سيطرتها على مناطق السلطة في الضفة الغربية كما تابعت حماس السيطرة على قطاع غزة، فيما عُرف بالانقسام الفلسطيني.

- عاش التيار الإسلامي في عالمنا العربي حالات من النجاحات والإخفاقات في هذه الفترة؛ غير أنه ظلّ يُعدّ التيار الأقوى على المستوى الشعبي، مقارنة بالتيارات القومية واليسارية والليبرالية والقُطْرية؛ وتتجلى قوته حيثما توجد بيئات حرة وانتخابات شفافة. وهو ما برز في فترة "الربيع العربي" وتحديداً خلال الفترة 2011–2013. غير أن التجربة أثبتت أن أمام التيار الإسلامي الكثير ليتعلمه للانتقال من ريادة المجتمع إلى قيادة الدولة، كما أثبتت التجربة شدة العداء من خصومه ومنافسيه ومن "الدولة العميقة"، وكذلك القوى الغربية التي تضع "الفيتو" على وصول الإسلاميين للحكم.
- تابع الشعب الفلسطيني صموده على أرضه بالرغم من شدة المعاناة وقسوة الاحتلال، وتجاوزت أعدادُ الفلسطينيين أعدادَ اليهود في فلسطين التاريخية في نهاية 2022. كما أن الشعب الفلسطيني في الخارج، الذي تتجاوز أعداده نصف عدد الفلسطينيين الكلي، تابع ارتباطه وإصراره على حقّ العودة والتحرير، وتطويره المؤسسات الداعمة لهذا الحق.
- شهدت الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة 1948 صعوداً كبيراً، وأصبحت أحد أبرز القوى في المجتمع الفلسطيني. وكان لها وما زال دور كبير في نشر الوعي والالتزام الإسلامي، والدفاع عن حقوق الفلسطينيين ودعم صمودهم. وبرزت في الدفاع عن المسجد الأقصى والقدس، والحفاظ على هويته الإسلامية. وبالرغم من انقسامها إلى حركتين "شمالية" و"جنوبية" سنة 1996، والتضييق والحظر الذي تعرضت له الحركة "الشمالية" بقيادة الشيخ رائد صلاح في 2015؛ إلا أن الحركة الإسلامية ما تزال تلعب دوراً فاعلاً في المجتمع الفلسطيني.
- نتيجة ظروف موضوعية وذاتية مختلفة، دخلت منظمة التحرير في مسار التسوية السلمية، الذي أدى إلى اتفاق أوسلو Oslo Accord في 1993، وما تلاه من التزامات وترتيبات. وبناء عليه اعترفت قيادة المنظمة بالكيان الإسرائيلي، وتنازلت له عن 77% من أرض فلسطين، والتزمت بالتوقف عن الكفاح المسلح، وعطلت بنود الميثاق الوطني الفلسطيني المتعارضة مع هذا الاتفاق. وقد تسبب هذا بغضب عارم في الوسط الإسلامي الذي رفض هذ الاتفاق باعتبار فلسطين أرضاً إسلامية مقدسة لا يجوز التفريط بأي جزء منها، وباعتبار وجوب الجهاد لتحرير كامل أرضها. كما لقيت هذه الاتفاقات معارضة قوى فلسطينية يسارية وقومية ووطنية، حيث شكلت حماس والجهاد بالاتفاق معها تحالف الفصائل العشر للعمل على إسقاط هذه الاتفاقات.

- أنشأت منظمةُ التحرير، بناء على اتفاق أوسلو، السلطةَ الفلسطينية سنة 1994، سعياً إلى تحويلها إلى دولة فلسطينية على فلسطين المحتلة سنة 1967 (الضفة والقطاع)، غير أنها تحولت مع الزمن إلى سلطة وظيفية تخدم أغراض الاحتلال أكثر مما تخدم تطلعات الشعب الفلسطيني. وتضخمت أجهزتها الأمنية التي انشغلت بالتنسيق الأمني مع الاحتلال وفي ملاحقة العمل المقاوم وضرب وتفكيك خلاياه، كما عانت من الفساد بأشكاله المختلفة، وفشلت في الارتقاء بحياة الفلسطينيين المعيشية والاقتصادية؛ كما فشلت في تشكيل بنى مؤسسية تنفيذية وتشريعية وقضائية فعالة، وفي بناء منظومة تستوعب كافة القوى الفلسطينية، وتعبّر عن الإرادة الحرة للشعب الفلسطيني.

وعانى التيار الإسلامي، وما زال يعاني، من التضييق ومحاولات العزل والتهميش التي تمارسها السلطة خصوصاً في الضفة الغربية؛ ومع ذلك فقد حافظ هذا التيار على قوته وشعبيته.

- حقَّق الكيان الصهيوني علواً كبيراً خلال هذه الفترة، فاستفاد من بيئة العجز العربي والإسلامي، وحالة التشرذم التي تلت الاحتلال العراقي للكويت وما أدى إليه من انعكاسات، ومن الانقسام الفلسطيني، ومن الدعم الغربي، ومن انهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الشيوعية، حيث تدفق مئات الآلاف من اليهود من تلك المناطق إلى الكيان، ليصل عدد اليهود في الكيان سنة 2022 إلى نحو 7 ملايين، أي نحو 47% من يهود العالم. واستخدم الكيان الصهيوني اتفاق أوسلو ومسار التسوية لتسويق نفسه في البيئة الدولية ليقيم علاقات ديبلوماسية جديدة مع عشرات الدول، وليقوم بالتطبيع مع عدد من البلدان العربية والإسلامية؛ كما استخدمه في مضاعفة أنشطته الاستيطانية والتهويدية في الضفة الغربية، وخصوصاً في القدس، ليقفز عدد مستوطنيه من نحو 280 ألفاً سنة 1993 إلى أكثر من 800 ألف في سنة 2022.

وطوَّر الكيان من إمكاناته العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية، وحقّق مستويات معيشية تضارع أوروبا الغربية. كما زاد المجتمع الصهيوني تطرفاً دينياً وقومياً، وأخذ يُشَرْعِن ذلك في قوانين عنصرية وظالمة.

وفي المقابل، فإن تصاعد قوة المقاومة أجبره على الانسحاب من جنوب لبنان 2000، ومن قطاع غزة 2005؛ كما صارت صواريخ المقاومة تغطي كل مساحة فلسطين التاريخية. وما زال الكيان يعاني من رفض وعداء الشعوب العربية والإسلامية له؛

كما يعاني من غياب الصف القيادي السياسي الأول؛ ومن تراجع وتردي نوعية المقاتل الإسرائيلي، ومن تفجر المشاكل الداخلية في المجتمع الصهيوني.

- حدث شرخ عربي كبير إثر الاحتلال العراقي للكويت في صيف 1990، وما نتج عنه من تدخل أمريكي دولي. وتضاعفت أزمة البيئة العربية والإسلامية بالاحتلال الأمريكي لأفغانستان 2001 والعراق 2003، وظلت هذه البيئة تعاني من إصرار الأنظمة على متابعة فسادها واستبدادها. وجاء "الربيع العربي"، خصوصاً في الفترة 2011–2013، ليعبر عن تطلعات الأمة في الحرية والنهوض الحضاري والتداول السلمي للسلطة، وحدثت اهتزازات هائبة في البيئة العربية. ونجح التيار الإسلامي في أن يتصدر المشهد الشعبي والسياسي وحركات التغيير في المنطقة. غير أن "الموجة المضادة" تمكنت من استعادة زمام المبادرة، وإجهاض معظم حركات التغيير. وما تزال المنطقة تعيش حالة من التدافع، واللا استقرار، مما يؤذن بعودة مسارات التغيير مستقبلاً. واندفعت بعض الأنظمة في سبيل بقائها وحماية ذاتها للاستعانة أكثر بالقوى الكبرى، ولتطبيع علاقاتها مع العدو الإسرائيلي. وهو ما زاد من حالة الضعف والتشرذم العربي؛ في الوقت الذي تعرض فيه التيار الإسلامي الفلسطيني المقاوم لمزيد من الحصار والمطاردة وتجفيف ينابيع الدعم والإسناد الرسمي وإغلاق الأبواب في وجه القوى والمؤسسات الشعبية عن إسناد المقاومة الفلسطينية ودعم صمود الشعب الفلسطيني.

- خلال هذه الفترة (1987–2022)، ومع انهيار الاتحاد السوفييتي، تحول العالم إلى منظومة أحادية القطبية تقودها الولايات المتحدة، وهو ما وفّر غطاء مثالياً للكيان الصهيوني لمتابعة احتلاله وطغيانه. غير أن العالم أخذ يتجه ببطء نحو منظومة متعددة القطبية مع تراجع النفوذ الأمريكي ومع صعود الصين، ومحاولات روسيا والهند والاتحاد الأوروبي فرض مكانتها في البيئة الدولية.

وفي هذه الفترة، صعدت مظاهر العولمة، ووسائل التواصل الاجتماعي، والشركات العابرة للقارات؛ بينما تراجعت المظاهر القيمية والأخلاقية، وتفشى التطرف الديني والقومي. وظهرت في المنطقة العربية حالة من "الفراغ الاستراتيجي"؛ مع نمو البيئات التي تدفع باتجاه استعادة الأمة زمام نهوضها الحضاري، لتقدم للإنسانية مشروعها الإسلامي الذي يخرجها من حالة الضياع.

ثانياً: حركة المقاومة الإسلامية (حماس):

كما أشرنا سابقاً، فقد اتخذ المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة قراراً بإطلاق مواجهة الاحتلال، الذي ترافق معه إطلاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، في اجتماع في بيت الأستاذ حسن القيق رحمه الله في 1987/10/23.[93]

وعندما وقعت حادثة دعس أربعة من العمال الفلسطينيين في 1987/12/8، اجتمعت قيادة الإخوان في قطاع غزة ليلتها (بحضور الشيخ أحمد ياسين، وإبراهيم اليازوري، وعبد العزيز الرنتيسي، وعبد الفتاح دخان، ومحمد شمعة، وصلاح شحادة، وعيسى النشار)، وناقشت ما جرى من أحداث، وقررت القيادة تصعيد المواجهات في مختلف مناطق القطاع. وهو ما بدأ فعلاً بعد صلاة فجر 1987/12/9 عندما خرجت المظاهرات من مخيم جباليا. وكان اثنان من تيار الإخوان هما أول شهيدين دشَّنا بدء الانتفاضة المباركة في فلسطين، وهما حاتم أبو سيسي ورائد شحادة.[94] وفي 1987/12/14 أصدرت حركة المقاومة الإسلامية بيانها الأول الذي عبَّر عن مجمل سياساتها وتوجهاتها.[95]

وفي اجتماع للمكتب الإداري العام للإخوان في الضفة والقطاع عقد في 1988/1/10 في القدس في بيت حسن القيق في المدرسة الصناعية في دار اليتيم العربي، اتخذ قرار استمرار الانتفاضة، وتوسع العمل في جميع أنحاء الضفة الغربية، بالوسائل والأعمال نفسها التي حصلت في غزة. أما اختصار حركة المقاومة الإسلامية إلى حماس، فاتفق عليه المكتب الإداري في بيت حسن القيق؛ حيث كان هو صاحب الاقتراح. فقد كان يوضع في البيانات الأولى أحرف: ح.م.س تحت اسم حركة المقاومة الإسلامية، ثم تمَّ إضافة حرف الألف فأصبحت "حماس".[96]

بالنسبة للإخوان، كان الجديد في حركة حماس أنها:

1. حسمت حالة "التقطُّع" في الأداء الجهادي الإخواني، وحوَّلته إلى حالة دائمة مستمرة.
2. وفَّرت غطاء حركياً مقاوماً لجماعة الإخوان، يتسم بالمؤسسية التنظيمية، والسياسية، والعسكرية، وله قيادته السياسية المعلنة.
3. نقلت الوضع الداخلي للإخوان الفلسطينيين نقلة نوعية، بحيث أصبح العمل التنظيمي، والتربوي، والتعبوي يخدم الفعل الجهادي واستراتيجية المقاومة.

وقد صَعَدت حماس بسرعة لتصبح المنافس الرئيسي لحركة فتح في قيادة الساحة الفلسطينية، وتمكنت منذ البداية من الاستناد على أسس أيديولوجية وحركية وشعبية صلبة، مكّنتها من الوقوف في وجه الضربات القاسية التي تلقتها من الكيان الصهيوني ومن السلطة الفلسطينية بعد ذلك. وقد أعانها على ذلك عراقة وقدم التنظيم الإخواني الفلسطيني، إذ إنه أقدم تنظيم حركي فلسطيني، كان ما يزال يحتفظ بفاعليته على الساحة. كما استفادت من تراث الإخوان المسلمين العالمي الفكري والدعوي والتربوي الضخم، الذي أنتجته مدرسة الشيخ حسن البنا ومفكروها في بلدان العالم منذ ثلاثينيات القرن العشرين؛ ومن الدعم الذي يتلقونه من فروع الإخوان في بلدان العالم. كما لم يركز الإخوان على مشروع المقاومة العسكرية فقط؛ وإنما شكّلوا دعوة إصلاحية ومدرسة تربوية وهيئة اجتماعية خيرية، وتغلغلوا في أوساط الناس، بحيث استفادوا من هذه الأنشطة في تجنيد عناصرهم وتجديد أنفسهم، مما جعل عملية اقتلاعها أمراً يكاد يكون مستحيلاً. وفوق ذلك، فقد كان لدى الإخوان شعور عميق بماضٍ جهادي مقاوم يفخرون به منذ 1948.

من جهة أخرى، تابع جهاز فلسطين بقيادة خيري الأغا (الذي كان يتبع تنظيم بلاد الشام) الإشراف على حماس وفعالياتها في الداخل الفلسطيني. وتشكلت اللجنة السياسية للحركة في الخارج سنة 1989 برئاسة إبراهيم غوشة. وفي سنة 1991، شكّلت حماس مجلس شوراها حيث تولى رئاسته الشيخ عمر الأشقر وتتابع على رئاسته بعد ذلك إبراهيم غوشة، ومحمد الخضري، وأحمد بحر. أما رئاسة الحركة، فقد استمر الأغا في قيادتها حتى 1993، عندما استعفى وحلّ مكانه نائبه موسى أبو مرزوق. وعندما اعتقل أبو مرزوق في الولايات المتحدة سنة 1995 (نتيجة اضطراره لمغادرة الأردن وعدم وجود أي بلد عربي يستقبله) تولى القيادة بعده خالد مشعل حتى 2017، حيث خلفه إسماعيل هنية.

ولا بدّ من الإشارة إلى المكانة الكبيرة والإجماع الذي حظي به الشيخ أحمد ياسين ورمزيته العالية في حماس ولدى الشعب الفلسطيني، بالنظر إلى ريادته للمشروع الجهادي للإخوان في الداخل الفلسطيني، وما يتمتع به من إيمان عميق وروح رسالية، ومن مزايا قيادية ورؤى استراتيجية، ومن إصرار على العمل الدؤوب بالرغم من معاناته من الشلل الجسدي. وقد أفرج عن الشيخ أحمد ياسين في 1997/10/1 نتيجة اتفاق بين الأردن والكيان الصهيوني مقابل الإفراج عن عميلين للموساد Mossad

الإسرائيلي، كانا قد حاولا اغتيال رئيس الحركة خالد مشعل في عمَّان في 1997/9/25. حيث عاد لمتابعة دوره الأساسي في توجيه العمل خصوصاً من قطاع غزة. وقد ظلّ الشيخ أحمد ياسين "أباً روحياً" لحماس حتى استشهاده رحمه الله.

ظلت حماس تتبع نظاماً تتولى فيه قيادتها لجنةٌ تنفيذيةٌ تقيم في الخارج حتى 2009، عندما تحولت حماس إلى "نظام الأقاليم" الذي يجعل عضوية اللجنة التنفيذية متساوية بين أقاليم الضفة والقطاع والخارج (ستة لكل إقليم بالإضافة إلى رئيس الحركة)، وهي عضويةٌ متساوية أيضاً على صعيد مجلس الشورى العام للحركة. كما أن حماس ظلت تتبع (من ناحية رسمية إخوانية) تنظيم بلاد الشام حتى سنة 2012، عندما تمّ التوافق على انفصالها عن الإخوان في الأردن، وأن تتولى بنفسها العمل الإخواني الفلسطيني.

أهداف حماس ورؤيتها السياسية:

أصدرت حماس ميثاقها في 1988/8/17، وحسب عدنان مسودي فإن الذي كتب مسودة الميثاق هو عبد الفتاح دخان (أبو أسامة)، وقد اعتمده المكتب الإداري العام للإخوان في الضفة والقطاع، بعد قراءته مرتين في منزل حسن القيق.[97] كما تمّ اعتماده من قيادة تنظيم بلاد الشام في عمّان بالأردن. وجرى توزيعه بشكل واسع في السنة نفسها في الكويت والأردن، بالإضافة إلى الداخل الفلسطيني.

أعلنت حماس نفسها في الميثاق جناحاً من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين، وامتداداً من امتداداتها، وأنها تَعدُّ الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها، وإليه تحتكم، ومنه تسترشد خطاها.[98] وتهدف حماس إلى تحرير فلسطين، وإقامة دولة الإسلام عليها، وإعادة الحقوق إلى أصحابها، وتعدُّ نفسها سنداً لكل مستضعف، ونصيراً لكل مظلوم.[99] وترى حماس أن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصحّ التفريط بها أو بجزء منها، أو التنازل عنها أو عن جزء منها، وأنه لا حلّ لقضية فلسطين إلا بالجهاد في سبيل الله، وأن العمل على تحريرها فرض عين على كلّ مسلم حيثما كان.[100]

وأبدت حماس في ميثاقها اهتماماً بتربية الأجيال تربية متكاملة، وأعطت للمرأة المسلمة دوراً لا يقلّ عن دور الرجل في معركة التحرير.[101] ونظرت حماس نظرة احترام وتقدير إلى الحركات الإسلامية، وبادلت الحركات الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية الاحترام، لكنها رفضت في الوقت نفسه الفكرة العلمانية، معتبرة أنها لن

تؤدي إلى التحرير.[102] وأكدت حماس على اعتبارها حركة إنسانية تلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، ولا تعادي إلا من يناصبها العداء.[103]

ترى حركة حماس أن العمل العسكري هو خيار استراتيجي دائم، وتتعامل مع المعركة باعتبارها معركة طويلة الأمد، ربما تتداولها الأجيال. وهي في مثل أجواء التسوية السلمية وحالة استضعاف الأمة تسعى لإبقاء جذوة الجهاد مرفوعة تعبيراً عن عدم التفريط بالأرض المقدسة. ولكن الذي عقَّد الأمر في وجه حماس أنها أقبلت على الخيار العسكري حين أدبر الآخرون، وسارت عكس التيار، لكنها على أي حال تمكنت من إثبات نفسها.

وفي مطلع أيار/ مايو 2017 أصدرت حماس وثيقتها السياسية،[104] حيث أكدت فيها على هويتها ومرجعيتها الإسلامية، والتزامها بالثوابت؛ وعلى دائرة اهتمامها باعتبارها حركة وطنية فلسطينية. وعالجت الوثيقة ثغرات في الميثاق كان أبرزها ما يتعلق باليهود، حيث كان ثمة لبس بين اليهود كأتباع ديانة وأهل كتاب، وبين اليهود الصهاينة الغاصبين لأرض فلسطين. وهي ثغرة غير مقصودة باعتبار أن الثقافة الشعبية التي كانت سائدة في العالم العربي والإسلامي تستخدم لغة مبسطة في استخدام المصطلح وتعميمه. غير أن الجانب الإسرائيلي استغل هذه الثغرة لاتهام حماس بـ"اللا سامية" وتشويه صورتها في كل مكان. ولذلك أكدت الوثيقة أن حماس لا تحارب اليهود لكونهم يهوداً أو بسبب ديانتهم، وإنما تحارب المشروع الصهيوني والصهاينة المعتدين المحتلين لفلسطين.

وتميزت الوثيقة بالشمول وبلغة سياسية مرنة منفتحة على الواقع، والتي تؤكد على المشترك مع الآخرين دونما إخلال بالثوابت. كما تميزت بالروح الإسلامية الوسطية المتسامحة المعتدلة، البعيدة عن الغلو والتطرف والتعصب؛ والتي تؤكد على القيم الإنسانية المشتركة في الحرية والعدالة ورفض الظلم والعدوان.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن البند 20 في الوثيقة الذي يشير جزءٌ منه إلى إمكانية القبول بدولة فلسطينية على خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967 هو أكثر الجوانب التي أثارت النقاش وشغلت الرأي العام، وكأنه مبادرة جديدة أو تنازل من حماس. والحقيقة أن النص حول الدولة يأتي في سياق نصّ حاسم يرفض التنازل عن أيّ جزء من فلسطين مهما كانت الأسباب. والنص نثبته هنا لمن لم يطلع عليه:

> لا تنازل عن أي جزء من أرض فلسطين، مهما كانت الأسباب والظروف والضغوط، ومهما طال الاحتلال. وترفض حماس أي بديلٍ عن تحرير فلسطين تحريراً كاملاً، من نهرها إلى بحرها. ومع ذلك—وبما لا يعني إطلاقاً الاعتراف بالكيان الصهيوني، ولا التنازل عن أيٍّ من الحقوق الفلسطينية—فإن حماس تعتبر أن إقامة دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة، وعاصمتها القدس، على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو 1967، مع عودة اللاجئين والنازحين إلى منازلهم التي أخرجوا منها، هي صيغة توافقية وطنية مشتركة.[105]

هذا النص مرتبط بقضية جوهرية كانت وما تزال مثار النقاش في الساحة الفلسطينية طوال السنوات العشر الماضية، وكانت حماس مطالبة بالإجابة عنها في كل حواراتها مع فتح والقوى الفلسطينية لبناء قاعدة التقاء وتقاطع مشترك، لتجاوز الانقسام الفلسطيني والعمل المشترك في الأطر الفلسطينية كمنظمة التحرير والسلطة. فقد ثبّتت حماس هنا حرصها على الشراكة والتوافق وإنهاء الانقسام، وأنها ليست عقبة في طريق إنشاء دولة فلسطينية كاملة السيادة على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو؛ غير أن هذه الصيغة لا تملي على حماس أي التزامات تجاه العدو كالاعتراف بـ"إسرائيل" أو التنازل عن أي جزء من فلسطين، وهي النصوص الحاكمة التي سبقت النص على موضوع الدولة.

ثالثاً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي: مرحلة الانتفاضة المباركة 1987–1993:[106]

عرفت الانتفاضة الأولى بـ"الانتفاضة المباركة" وبـ"انتفاضة أطفال الحجارة". وعلى الرغم من أنها لم تكن الانتفاضة الأولى إلا أنها كانت علامة فارقة في التاريخ الفلسطيني؛ فمن خلالها انتقل مركز المقاومة من الخارج إلى الداخل؛ وتميزت بالشمول ومشاركة كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العمرية؛ كما تميزت ببروز العامل الديني ودور التيار الإسلامي في إذكاء روح المقاومة وحبّ الاستشهاد. ومنذ ذلك التاريخ سيستعيد التيار الإسلامي ألَقه المقاوم، ويصبح العمل الجهادي جوهر برنامجه وتكوينه، ويتصدر بشكل عام العمل العسكري الفلسطيني، وخصوصاً من خلال حركتَي حماس والجهاد الإسلامي.

وعلى أي حال، فإن السنوات الست الأولى للانتفاضة (كانون الأول/ ديسمبر 1987 – كانون الأول/ ديسمبر 1993)، حسب إحصائية أعدتها منظمة التحرير الفلسطينية، قد شهدت استشهاد 1,540 فلسطينياً، وبلغ عدد الجرحى 130 ألفاً، واعتقل نحو 116 ألفاً لمدد مختلفة.[107]

تنازع قيادة الانتفاضة تياران هما التيار الإسلامي (حماس والجهاد الإسلامي) وتيار منظمة التحرير الفلسطينية باستراتيجيات وأهداف متباينة، ولكن بفعاليات نضالية متشابهة، وكانت الجماهير الفلسطينية تستجيب لكلا التيارين. وقد أثار هذا الانقسام الميداني حفيظة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، التي وجدت في صعود التيار الإسلامي تحدياً كبيراً على الأرض. ومنذ ذلك الوقت، سيطبع الانقسامُ السياسي والنضالي العملَ الوطني الفلسطيني؛ فلا حماس والجهاد الإسلامي مستعدتان للالتزام ببرنامج المنظمة وقراراتها وتعهداتها، ولا قيادة المنظمة مستعدة للقيام بعملية إصلاح هيكلي لنفسها ومؤسساتها لتصبح أكثر "ديموقراطية"، وأقدر على استيعاب كافة الشرائح والتيارات الفلسطينية، وأكثر تعبيراً عن رؤية وطنية شاملة، يلتزم بها الجميع.

ترى حماس أنها هي التي حملت عبء إطلاق هذه الانتفاضة في أيامها الأولى، حيث ترافق قرار نزولها للميدان وتصعيد الفعاليات مع اللحظات الأولى للانتفاضة؛ وأن منظمة التحرير وفصائلها لم تشارك بشكل واضح إلاّ بعد نحو أسبوعين، عندما دعت للإضراب العام في 1987/12/21، ثم شكلت الفصائل المنتمية لمنظمة التحرير "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة"، وصدر بيانها الأول في 1988/1/8.

ومن جهة أخرى، لم تكن حماس فصيلاً معروفاً على الساحة الفلسطينية، وعانت لأشهر عديدة من عدم تعامل وسائل الإعلام مع بياناتها وفعالياتها، كما لم تكن حماس قد أفرزت شخصيات سياسية أو إعلامية للتحدث باسمها؛ وهو ما دفع منظمة التحرير وفصائلها إلى الواجهة. غير أن قدرة حماس على تنفيذ فعاليات واسعة على الأرض، وقيادة المظاهرات، وعمل الإضرابات الشاملة، أعطاها الكثير من المصداقية، وأخذ يثير الأسئلة الراغبة بالتّعرف على الحركة وقياداتها ورموزها.

انتشرت فعاليات حماس بشكل سريع في الضفة الغربية، وبرزت العديد من الرموز والقيادات أمثال الشيخ حامد البيتاوي، ومحمد الحاج، وبسام جرار، وجمال سليم، وجمال منصور، وحسن يوسف، وجمال النتشة؛ وتولت قيادات شبابية الإدارة السرية

لأنشطة حماس؛ إذ قام حسن القيق بتسليم هذه القيادة لمحمد صوالحة في حزيران/ يونيو 1989، الذي تولى المتابعة الميدانية للانتفاضة في منطقة الوسط (القدس، ورام الله، وبيت لحم، وأريحا)، وساعده تيسير عمران في قيادة شمال الضفة، وتحسين شاور في قيادة جنوب الضفة. وتعرضت حماس في الضفة للعديد من حملات التصفية والاعتقال والمطاردة؛ وأمسى صوالحة مطارداً في نهاية 1990، غير أنه تابع دوره حتى تمكن من المغادرة للخارج في 1991/6/27.

تطوّرت فعاليات حماس الانتفاضية من الإضرابات، والمظاهرات، ورمي الحجارة، إلى تطوير تدريجي في الفعاليات العسكرية كالهجمات بالسكاكين، والأسلحة النارية، واختطاف الجنود، وقتل العملاء، إلى السيارات المفخخة، والعمليات الاستشهادية. وقد أصبح الجهاز العسكري جزءاً ثابتاً وأصيلاً من تركيبة حماس، وعلى الرغم مما تعرض له الجهاز من ضربات سنة 1988، و1989، و1990 على خلفيات فعالياته العسكرية فإن الحركة كانت تعيد بناءه من جديد، وعلى الرغم من حالات المد والجزر فإن الجهاز ظلّ موجوداً، وفاعلاً، ومركزياً. وقد أمكن لحماس تجاوز الصعوبات بوجود نوعية من الرجال مستعدة للتضحية والاستشهاد، ويعترف المحللون الإسرائيليون أن "حماس قد صكّت نماذج جديدة للإنسان الفلسطيني، وهم الاستشهاديون الجدد".[108]

كما أشرنا سابقاً، عاد الشيخ أحمد ياسين لقيادة هذا الجهاز العسكري في قطاع غزة في منتصف حزيران/ يونيو 1987؛ وفي 1987/11/17 تقرر إطلاق العمل العسكري. ونظراً لاعتقال عبد العزيز الرنتيسي إدارياً في 1988/1/15، فقد تمّ ضم قيادة منطقة جنوب غزة إلى صلاح شحادة؛ الذي أصبح بذلك القائد الميداني للجهاز العسكري.[109]

في 1988/3/21، قامت المجموعة 101 في الجهاز العسكري لحماس "المجاهدون الفلسطينيون" الذي يقوده الشيخ صلاح شحادة، بمحاولة اختطاف مهندس ومقاول صهيوني في منطقة الشيخ رضوان في قطاع غزة، بيد أن العملية واجهتها صعوبات حالت دون إتمامها، فقامت المجموعة بإطلاق النار عليه وأصابوه بجراح، وتلا ذلك عمليات تفجير عبوات ناسفة في بيت حانون في أيار/ مايو 1988، وفي يوم عيد الأضحى في 1988/7/25، ثم في ذكرى الهجرة النبوية في 1988/8/14. كما قتلت المجموعة مستوطناً إسرائيلياً في 1988/8/18، قرب منطقة بيت لاهيا شمال قطاع غزة. ونجحت المجموعة في خطف وقتل الرقيب الصهيوني آفي ساسبورتس Avi Sasportas في 1989/2/3، وفي خطف الجندي إيلان سعدون Ilan Sa'adon وقتله في 1989/5/3. لكن سرعان ما ضُرب

هذا الجناح العسكري وحركة حماس بشكل عام في أيار/ مايو 1989؛ حيث قامت قوات الاحتلال باعتقال ما يزيد عن ألف من كوادر الحركة وأبنائها، وتمّ التحقيق بأساليب وحشية مع المئات منهم، فأدى ذلك إلى كشف بنية الحركة التنظيمية لأول مرة، وألقي القبض على الشيخ أحمد ياسين في 1989/5/18؛ حيث حُكم عليه بالسجن المؤبد، مضافاً إليها 15 عاماً.

ولذلك، ذهب القيادي في جهاز فلسطين في الخارج موسى أبو مرزوق إلى الداخل الفلسطيني، وقام (بتكليف من رئيس الجهاز آنذاك خيري الأغا) بإعادة تنظيم الحركة، وجعل توجيه العمل العسكري مرتبطاً بالخارج، كما قام بترتيب عملية التنسيق بين الضفة والقطاع، من خلال التواصل السري بين حسن القيق (ثم صوالحة) في الضفة وسيد أبو مسامح الذي تولى متابعة العمل في القطاع إثر ضرب التنظيم في أيار/ مايو 1989.[110]

وقد شكلت حماس جناحها العسكري الحالي "كتائب عز الدين القسام" في 1990، الذي حلّ محل "المجاهدون الفلسطينيون".[111] وبحسب موسى أبو مرزوق فإن ياسر النمروطي كان على أول قيادة لكتائب القسام.[112]

تأخَّر العمل العسكري في الضفة الغربية مقارنة بالقطاع، غير أنه سرعان ما أخذ بالتجذر والانتشار بعد انطلاق الانتفاضة. وأخذ العمل العسكري في الضفة في البداية شكل المبادرات الفردية أو المنظمة المتأثرة بالتعبئة الداخلية، ونداءات حماس للثأر من العدو ومواجهة اعتداءاته.

ويبدو أن أحد أولى المبادرات كان تشكيل "مجموعة بيت أمر" في الخليل بقيادة بدر أبو عياش، والتي تعود أولى عملياتها إلى آذار/ مارس 1988؛[113] ومبادرة ابن حماس أحمد شكري الذي قَتَل في تل أبيب عاملاً صهيونياً كان قد خدم في جيش الاحتلال في 1989/9/7؛[114] ومجموعة سمير الأسطة في نابلس التي قامت بمهاجمة دورية عسكرية في 1990/4/5 وأوقعت فيها إصابات خطيرة؛ وعملية عامر أبو سرحان الذي قتل ثلاثة صهاينة وجرح رابعاً في 1990/10/21، والذي عُدَّ رائد حرب السكاكين،[115]... وغيرها.

غير أنه على ما يظهر، فإن أولى المجموعات التي أخذت شكلاً تنظيمياً تتابعه قيادة الضفة هي مجموعة عادل عوض الله التي يعود تأسيسها إلى أواخر 1988 وبداية 1989.

وهناك مجموعات البراق التي تشكلت بإشراف قيادة حماس في الخليل، وقاد المجموعات ناجي سنقرط الذي تلقى تدريباته في الخارج، والذي قدم للضفة في ربيع 1990 وفقاً لتوجيهات تلقاها من قيادة الحركة في الأردن. وتمّ تجنيد عدد كبير من المجاهدين، وشراء كميات كبيرة من الأسلحة، وتمّ التدريب عليها في منتصف 1990. وبعد أن قامت إحدى المجموعات بإلقاء قنابل يدوية على دورية عسكرية صهيونية قرب الحرم الإبراهيمي، تمّ ضرب التشكيل واعتقل قادته، وعدد من المجموعات، غير أنه ظلت مجموعات أخرى لم تنكشف، وانضمت لاحقاً للخلايا التأسيسية لكتائب القسام 1992.[116]

كما سعى الشيخ محمد أبو طير بعد الإفراج عنه في آذار/ مارس 1991 بالتعاون مع عادل عوض الله، إلى تأسيس عمل عسكري منظم، بالتنسيق مع القيادة في الخارج، غير أن الشيخ أبو طير وعادل عوض الله ورفاقهما اعتقلوا بعد انكشاف صفقة الأسلحة التي سعوا لشرائها.[117]

ويعود اتخاذ كتائب القسام شكلاً مستقراً في الضفة، إلى التقاء صالح العاروري أمير الكتلة الإسلامية بجامعة الخليل في السجن مع عادل عوض الله أمير الكتلة الإسلامية في جامعة بيت لحم، وإبراهيم حامد أمير الكتلة الإسلامية بجامعة بيرزيت. حيث قرروا إطلاق العمل العسكري بعد خروجهم من السجن وإعادة تشكيل المكتب الإداري للكتلة الإسلامية في مدينة رام الله وقُراها برئاسة العاروري وعضويتهما سنة 1991. حيث استخدموا مواقعهم لترشيح أعضاء في العمل العسكري، على أن يقود العاروري الجهاز ويكون نائبه عوض الله، ويتولى حامد التواصل مع الخارج لجلب الدعم للجهاز.[118] وقام العاروري بتجنيد موسى دودين وعباس شبانة من الخليل. واستقبل عدداً من مطاردي القسام من غزة، وتولى إيواءهم وتسليحهم. ونسَّق العمل في شمال الضفة مع زاهر جبارين وعدنان مرعي، كما نسَّق مع قطاع غزة. ونسَّقت قيادة الحركة في الخارج العمل مع صالح العاروري ورفاقه، بإشراف موسى أبو مرزوق، وأرسلت محمد صلاح بمبالغ مالية لتمويل العمل العسكري في الضفة. وتمّ تثبيت اسم كتائب القسام في الضفة بالتوافق مع الخارج وغزة سنة 1992. ونفذت أولى العمليات باسم القسام في الضفة على يد محمد بشارات الذي قَتَل جندياً صهيونياً في 1992/9/22. ثم تواصل العمل، بالرغم من اعتقال العاروري في تشرين الأول/ أكتوبر 1992 وحبسه إدارياً.[119]

ومنذ ذلك الوقت، شقّ العمل العسكري عمله بثبات في ظروف بالغة الصعوبة. وليس ثمة مجال في هذه الدراسة للمتابعة التفصيلية للبنى العسكرية وعمليات المقاومة؛ غير أننا سنتتبع أبرز المحطات، محاولين رسم المسارات العامة وأبرز الملامح المرتبطة بالعمل المقاوم في كل مرحلة.

ففي الذكرى الثالثة لانطلاقة حماس في 1990/12/14، قامت حماس بقتل ثلاثة إسرائيليين، مما فجَّر أكبر عملية اعتقال شاملة تتعرض لها الحركة، وجرى مجدداً ضرب أجهزة الحركة. وكان من أبرز الظواهر التي رافقت هذه الضربة انكشاف علاقة الحركة في الخارج، ودورها فيما يجري بالداخل.

وفي 1992/12/13 قامت حماس باختطاف الجندي نسيم توليدانو Nissim Toledano والمطالبة في مقابل الإفراج عنه بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وعلى إثر رفض رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين Yitzhak Rabin التجاوب مع مطالبها قامت الحركة بتصفية الجندي، وهو ما دفع رابين للإعلان في الكنيست Knesset عن الحرب الشاملة على حركة حماس؛ فتم اعتقال 1,300 من أنصار حماس، كما أقدمت السلطات الإسرائيلية على أكبر عملية تهجير وإبعاد بعد حرب 1967، عندما قامت بإبعاد 415 شخصاً غالبيتهم الساحقة (نحو 380) من القيادات الإسلامية المدنية المحسوبة على حماس، وكان معهم أيضاً عدد من المحسوبين على حركة الجهاد الإسلامي، ونفذ هذا القرار مساء الخميس 1992/12/17، حيث قُذف بالمبعدين خارج الحدود الفلسطينية الشمالية مع لبنان، غير أن رفض المبعدين للإبعاد وصمودهم في مرج الزهور على الحدود مع لبنان، أكسبهم المعركة الإعلامية الدولية ضدّ الاحتلال، ووسَّع دائرة الاهتمام بحركة حماس، وزاد من شعبيتها، مما اضطر السلطات الإسرائيلية إلى الموافقة على العودة التدريجية للمبعدين، والتي اكتملت بعد عام من الإبعاد.[120]

وحسب دراسة لغسان دوعر، فقد نفَّذت حماس سنة 1993 ما مجموعه 138 عملية خسر الكيان الإسرائيلي، حسبما أعلن بنفسه، 79 قتيلاً و220 جريحاً.[121]

***

من ناحية أخرى، قدمت حركة الجهاد الإسلامي نماذج جهادية مميزة، وعانى أفرادها من السجن والمطاردة والإبعاد، واستشهد العديد من أفرادها في عمليات عسكرية

جريئة. وكان أربعة من مجاهدي الحركة (اثنان منهم كانا قد هربا من سجن غزة المركزي في أيار/ مايو 1987) قد قاموا بعدد من العمليات الجهادية إلى أن استشهدوا في عملية الشجاعية في 1987/10/6 في اشتباك مسلح مع القوات الإسرائيلية. وترى الجهاد الإسلامي أن ذلك اليوم (1987/10/6) هو اليوم الأول للانتفاضة المباركة، وقد استمرت طيلة سنوات الانتفاضة تدعو إلى الإضراب الشهري لذكرى بدء الانتفاضة في هذا اليوم من كل شهر.[122] وكانت تستجيب لإضرابها، الذي تدعو إليه في اليوم السادس من كل شهر، قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع.

وقد تأثرت الجهاد الإسلامي كثيراً باستشهاد أبو حسن قاسم وحمدي ومروان كيالي في قبرص في عملية نفذتها المخابرات الإسرائيلية في 1988/2/14؛ حيث كانوا يقودون النواة العسكرية الصلبة للحركة. وقد كان من العمليات التي نفَّذتها حركة الجهاد في الانتفاضة المباركة عملية الطعن التي قام بها طلال الأعرج بحي الدرج بغزة في 1989/3/19 حيث جرح ثلاث جنود صهاينة، وعملية معسكر جلعاد في 1992/2/14 التي أدت لمقتل ثلاثة صهاينة، وعملية متتياهو في 1992/10/17 التي أدت لمقتل مستوطنة صهيونية، وعملية أنور عزيز في 1993/8/2 الذي اصطدم بباص يقوده بعدد من مركبات العدو فقتل واحداً وجرح خمسة آخرين.[123]

رابعاً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي 1994-2000:

تعدُّ هذه الفترة من أقسى الفترات التي عانت منها المقاومة الإسلامية في فلسطين. إذ اجتمع عليها البطش الصهيوني مع بطش السلطة الفلسطينية التي تأسست سنة 1994، إثر دخول منظمة التحرير الفلسطينية في تسوية مع الكيان الصهيوني، وتوليها إنشاء الحكم الذاتي في المناطق السكانية في الضفة والقطاع. فقد تطلعت قيادة السلطة (قيادة فتح) إلى إنشاء دولة فلسطينية خلال خمسة أعوام من اتفاق أوسلو؛ ورأت في العمل المقاوم المسلح ضدّ الكيان الصهيوني تعطيلاً لمسار التسوية، وإفشالاً لحلم الدولة الفلسطينية؛ خصوصاً وأنها التزمت في اتفاقات أوسلو بالتوقف عن المقاومة المسلحة، وبمنع العمل المقاوم من مناطق سيطرتها. ونجح الطرف الصهيوني في ربط أي تطور في توسيع صلاحيات الحكم الذاتي بمدى السيطرة الأمنية للسلطة على أبناء شعبها. ولذلك، تضخم الجانب الأمني في السلطة حتى تكونت ثمانية أجهزة أمنية، وحظيت بالنصيب الأكبر في ميزانية السلطة مقارنة بغيرها. وقامت بإجراءات

وحملات أمنية قاسية، خصوصاً بعد العمليات العسكرية التي كانت تنفذها في الغالب حماس والجهاد الإسلامي. وعلى سبيل المثال شنّت السلطة الفلسطينية منذ أيار/ مايو 1994 وحتى آب/ أغسطس 1995 ما مجموعه 12 حملة اعتقال شملت أكثر من ألف فلسطيني.[124] وخلال شهر واحد فقط (4/19–1995/5/19) داهمت السلطة 57 مسجداً 138 مرة، حيث تعرضت للتفتيش والعبث والتخريب. كما أنشأت في 1995/2/7 "محكمة أمن الدولة" وهي محاكم عسكرية قضاتها من ضباط الأمن، استهدفت أساساً كوادر التيار الإسلامي، وكانت محاكمتها تعقد ليلاً وبشكل سرّي. وقد دانت منظمة العفو الدولية هذه المحاكم وطالبت بوقفها فوراً.[125]

وكان من أكثر الأحداث المؤسفة دموية ما يعرف بـ"مجزرة الجمعة الأسود" التي ارتكبتها أجهزة أمن السلطة ضدّ المصلين الذين كانوا ينوون الخروج بمسيرة سلمية بعد صلاة الجمعة من مسجد فلسطين بغزة في 1994/11/18 مما أدى لاستشهاد 13 مصلياً، وجرح 200 آخرين. وقد اتهمت حماس السلطة بتدبير المذبحة "النوايا مبيتة والمجزرة مدبرة".[126] وفي أواخر حزيران/ يونيو 1995 قامت السلطة باعتقال عدد من قادة حماس بينهم محمود الزهار وأحمد بحر وتعرضوا للتعذيب والإهانة. غير أن أشد حملات الاعتقال تمت في آذار/ مارس – نيسان/ أبريل 1996 بعد سلسلة من العمليات الاستشهادية التي هزت الكيان الصهيوني، حيث مسّت أكثر من ألف من نشطاء حماس والجهاد الإسلامي، واستهدفت تدمير وتفكيك البنى التنظيمية والتحتية للتيار الإسلامي، فأغلقت المدارس والجمعيات الخيرية ولجان الزكاة ورعاية الأيتام التي يديرها أنصار حماس والجهاد الإسلامي. ونجحت السلطة إلى حدّ كبير في ضرب وتهميش وإضعاف العمل المقاوم إلى أن تبدلت الأوضاع باندلاع انتفاضة الأقصى سنة 2000.[127]

أما التيار الإسلامي فقد وجد نفسه في ظروف صعبة ومعقدة، إذ إن رفاق النضال في الماضي تحولوا إلى أدوات منع وقمع للمقاومة والجهاد. غير أن هذا التيار وعلى رأسه حماس وضع لنفسه أسساً وضوابط للتعامل مع هذه الأوضاع المستجدة، أبرزها الإصرار على متابعة المقاومة والجهاد ضدّ العدو الصهيوني، والمحافظة على الوحدة الوطنية، وتجنب الاصطدام مع السلطة، وتبني المعارضة ضدّ اتفاقات التسوية؛ مع الإصرار على حقوق الشعب الفلسطيني الكاملة في أرضه ومقدساته، والتأكيد على الحريات السياسية وحقّ التعبير وحرية الصحافة.

كان على التيار الإسلامي المقاوم أن يسير عكس التيار وفي حقل ألغام مليء بالتحديات، في بيئة "رسمية" فلسطينية مخاصمة، أو حتى معادية، وبيئة شعبية فلسطينية لم تتعرف بعد على السلطة وحقيقة دورها الوظيفي والأمني، وما يزال قطاع لا بأس منها يأمل بأن يُحقّق مسار التسوية بعض آماله بدولة فلسطينية في الضفة والقطاع.

كل ذلك جعل العمل الجهادي أمراً يكاد يكون مستحيلاً، إلا أن الفترة 1994–1996 شهدت تطوراً نوعياً في العمليات وخصوصاً الاستشهادية منها، ومن ذلك ردُّ حماس على مذبحة الحرم الإبراهيمي في 1994/2/25 بخمس عمليات عنيفة، أدت إلى قتل ما مجموعه 39 إسرائيلياً وجرح 158 آخرين، وردُّ حماس على استشهاد يحيى عياش، الذي اغتيل في 1996/1/5، والذي كان مهندساً لعمليات أدت لقتل 70 إسرائيلياً وجرح 340 آخرين، بأربع عمليات في الفترة 2/25–1996/3/3 مما أسفر عن قتل 45 إسرائيلياً وجرح 113 آخرين حسب المصادر الإسرائيلية؛ فيما نفذت الجهاد الإسلامي عملية خامسة في تل أبيب، يظهر أنها كانت بالتعاون مع حماس، في 1996/3/4، مما أدى لمقتل 14 إسرائيلياً، وإصابة 125 آخرين.[128] وقد هزت العملياتُ الكيان الصهيوني، وهو ما دفع إلى عقد مؤتمر دولي في شرم الشيخ بمصر في 1996/3/13 بمشاركة الدول الكبرى لما أسموه "محاربة الإرهاب" أو ما أطلقوا عليه "قمة صانعي السلام". وشعرت الجهات المعنية بالتسوية أن مشروعها السلمي أصبح في "مهب الريح" على حدّ تعبير القيادي الفلسطيني صائب عريقات. ومنذ ذلك الوقت وحتى سنة 2000، قام الصهاينة والسلطة الفلسطينية، بالتعاون المباشر مع أمريكا وباستخدام كافة التقنيات الأمنية، بحملة شعواء استهدفت اجتثاث كل ما له صلة بالتيار الإسلامي الحركي المقاوم في فلسطين. ومرّت حماس والجهاد الإسلامي، بمرحلة من أقسى المراحل، وعانت من ضربات قاسية. وتمكنت السلطة من تفكيك معظم خلايا المقاومة. ومع ذلك فقد بذلت حماس جهداً استثنائياً لمتابعة المقاومة، حيث عادت العمليات العسكرية للظهور سنة 1997، وبرز في القيادة العسكرية محيي الدين الشريف، وعادل عوض الله، وعماد عوض الله الذين استشهدوا سنة 1998. وفي تلك الظروف، لم تتمكن حماس إلاّ من تنفيذ عمليتين استشهاديتين سنتي 1997–1998، بالإضافة إلى عدد من العمليات التي لم تؤثر على المسار العام للتسوية والمفاوضات.

ومن جهة أخرى، فإن حركة الجهاد الإسلامي قامت بعدد من العمليات النوعية والاستشهادية مثل عمليات نتساريم Netzarim في 1994/11/11،[129] وبيت ليد في 1995/1/22،[130] وتل أبيب في 1996/3/4 (المشار إليها سابقاً). وقد تعرضت لما تعرضت له حماس من ضغوط ومطاردة، واستشهد قائدها فتحي الشقاقي رحمه الله في عملية نفذها الموساد الإسرائيلي في 1995/10/26 وخلفه رمضان عبد الله شلح، الذي استمر في قيادة الحركة إلى أن أقعده المرض في ربيع 2018؛ فقامت حركة الجهاد بانتخاب زياد النخالة خلفاً له في 2018/9/28. وقد توفي رمضان شلح رحمه الله في بيروت في 2020/6/6.

وعلى الصعيد السياسي، توطدت العلاقات بين حركتَي حماس والجهاد الإسلامي. وذكر الشقاقي في كانون الثاني/ يناير 1995 أن العلاقة مع حماس "ممتازة، علاقة ودية وأخوية، ونحن نسعى إلى زيادة التعاون على الأرض".[131] وأكد رمضان شلح هذه المعاني عندما قال: إن هناك تفاهماً ولقاء في خندق المواجهة مع العدو بيننا وبين الإخوة في حماس، ونحن حريصون على تطوير العلاقة وتمتينها لترتقي إلى مستوى الحرب الشرسة التي تستهدف المشروع الإسلامي في فلسطين والمنطقة.[132]

تحرير جنوب لبنان:[133]

شهدت فترة التسعينيات تصاعد العمل المقاوم بقيادة حزب الله ضدّ الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وضدّ جيش لبنان الجنوبي، وهو ميليشيا عميلة نشأت بدعم الاحتلال وسيطرت على الشريط الحدودي مع فلسطين المحتلة. وقد كان المعدل السنوي للقتلى الإسرائيليين نحو 22 قتيلاً، وأعداد أكبر من ذلك بكثير من جيش لبنان الجنوبي العميل. وقد حاولت "إسرائيل" وعملاؤها قمع المقاومة وإخضاع أبناء الجنوب، غير أنها فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً، بالرغم من أنها استخدمت وسائل وحشية كان من أبرزها عملية "تصفية الحساب" في 1993 حيث تعرض الجنوب لقصف شديد في محاولة لبث الرعب في أهله وتهجيره، وعملية "عناقيد الغضب" في 1996، التي ارتكب الطيران الإسرائيلي خلالها مجزرة قانا وراح ضحيتها نحو 100 من المدنيين الذين لجؤوا إلى مقر الأمم المتحدة هناك.

وقد طوّرت المقاومة بقيادة حزب الله أساليبها وأداءها النوعي في الفترة 1995–2000 خصوصاً باستخدام العُبوات الناسفة عن بُعد، مما أدّى لقتل عدد من قادة الاحتلال والعملاء في الحزام الأمني؛ وكان من أبرزهم مسؤول الجيش الإسرائيلي في الحزام

إيرز غرنشتاين Erez Gerstein في 1999/2/28، ونائب قائد جيش لبنان الجنوبي العميل عقل هاشم في 2000/1/30. وبحسب إحصائيات القيادة الشمالية للجيش الإسرائيلي فقد نفذ حزب الله 670 عملية سنة 1997، و1,200 عملية سنة 1998.

وتحت ضربات المقاومة قررت حكومة إيهود باراك الانسحاب من جنوب لبنان، بعد أن تحول بقاؤها إلى عبءٍ كبير، وتخلّت عن عملائها في الشريط الحدودي الذين أصيبوا بحالة من الإحباط والغضب واضطروا للهرب. واكتمل الانسحاب الإسرائيلي في 2000/5/25.

خامساً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي: انتفاضة الأقصى 2000–2005:

"أرادوا جرّنا للمساومة، فجررناهم للمقاومة"!! بهذه الجملة اختصر الشيخ أحمد ياسين جوهر الخلاف بين السلطة الفلسطينية ومن خلفها حركة فتح، وبين حماس والقوى المعارضة للتسوية السلمية، كما اختصر طبيعة النجاح الذي حقّقته حماس من خلال انتفاضة الأقصى.

كانت حماس ومعارضو التسوية يرون أن اتفاقية أوسلو تحمل بذور فشلها في ذاتها، وأن ذلك سينكشف إن عاجلاً أو آجلاً، خصوصاً عند الاصطدام بصخرة الاتفاقيات النهائية، ومستقبل القدس، واللاجئين، والمستعمرات، والدولة وسيادتها. وهو ما تحقق بالفعل إثر انهيار مفاوضات كامب ديفيد الثانية في تموز/ يوليو 2000. ولذلك جاءت انتفاضة الأقصى لتعيد الشعب الفلسطيني إلى مربع المقاومة، بعد أن سئم المفاوضات والمماطلات الإسرائيلية، وعمليات تهويد القدس والاستيطان، بالإضافة إلى غضبه من أداء السلطة وتفشي الفساد في مؤسساتها.

اندلعت انتفاضة الأقصى في 2000/9/29، إثر اقتحام أريل شارون Ariel Sharon زعيم حزب الليكود Likud حرم المسجد الأقصى في 2000/9/28. وصمَّم المسلمون على الدفاع عن الأقصى، حيث سقط في المواجهات الأولى خمسة شهداء، وجرح أكثر من مئة. ثم تتابعت الانتفاضة لتستمر لنحو خمسة أعوام.

وأفرزت الانتفاضة عدداً من الحقائق والمؤشرات أهمها:

1. أن الأمة الإسلامية ما تزال حية، بالرغم من الجراح التي أثخنتها، وأن روح المقاومة والصمود والاستعداد للبذل والتضحية لم تخمد. فقد خرجت المظاهرات بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف في بلدان العالم الإسلامي، من الرباط في أقصى المغرب وحتى جاكرتا في أقصى المشرق الإسلامي، كلها تهتف للأقصى والقدس وفلسطين، وتطالب بالجهاد، وتقدم ما لديها من تبرعات ودعم. فكانت لحظات رائعة من أخوة الإسلام ووحدة الأمة. وظهرت تجليات الإمكانات الكبرى لهذه الأمة لتحقيق النصر لو سلكت طريق الجهاد.

2. أن قضية فلسطين قضية تجمع المسلمين وتوحدهم، بل وتكون سبباً في تجاوز خلافاتهم والتركيز على العدو الصهيوني المشترك. وأن هذه القضية غدت القضية المركزية للعالم الإسلامي، فلا قضية تجمعهم كهذه القضية، ولا عدو يجتمعون ضده كهذا العدو.

3. وجَّهت الانتفاضة ضربة قاسية لمشروع التسوية السلمية والتطبيع مع العدو، وبرز الخيار الجهادي كخيار أمثل.

4. إن هذه الانتفاضة انعكست على طريقة تفكير الناس وأسلوب حياتهم اليومي، فاشتد العداء للمشروع الصهيوني، واشتد العداء ضدّ أمريكا، وتكرست الروح الجهادية وروح التكافل، وتجاوبت الجماهير مع دعوات مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، حتى غيّر الملايين من أسلوب طعامهم وشرابهم اليومي، ومن لباسهم ووسائل تنقلهم واتصالاتهم وترفيههم، فكانت مدرسة تربوية اجتماعية شعبية، ربما احتاجت حركات الإصلاح سنوات للوصول إلى مثل نتائجها. بل واضطرت الشركات الأجنبية الأمريكية لإنزال إعلانات عدم العلاقة بالكيان الصهيوني، بل والتبرع لضحايا الانتفاضة، كما حدث مع مطاعم مكدونالدز التي تبرعت بريال سعودي لكل وجبة طعام، لعلاج جرحى الانتفاضة.[134]

ومن جهة أخرى، فقد تميزت هذه الانتفاضة بالمشاركة الشعبية الواسعة في كل أرجاء فلسطين المحتلة، وبمشاركة كافة التيارات الفلسطينية. كما تميزت في الوقت نفسه، بشدة القمع الصهيوني الذي تمادى في قتل الأطفال والأبرياء واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، وانكشفت سوءات أدعياء "السلام" الصهاينة الذين تباروا في سحق الانتفاضة المباركة.

وقد شهدت سنة 2005 خُفوت موجة انتفاضة الأقصى، وكان ذلك نتيجة الأوضاع التي تلَت وفاة ياسر عرفات، وانتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة، وبسبب انشغال الفلسطينيين في الضفة والقطاع في الانتخابات البلدية وفي التحضير للانتخابات التشريعية.

وخلال الفترة 2000/9/28–2005/12/31، بلغ عدد الشهداء 4,242 شهيداً، بينهم 793 طفلاً، و270 شهيدة. وقامت السلطات بعمليات اغتيال وتصفية جسدية ميدانية لـ 376 مواطناً. وبلغ عدد الجرحى 46,068 جريحاً.[135] وارتفع عدد السجناء في نهاية 2005 إلى نحو 9,200 سجيناً.[136] وكان يقبع في السجون الإسرائيلية في نهاية سنة 2005 نحو 4 آلاف من أعضاء ومؤيدي حماس، ومعظمهم من أبناء الضفة الغربية، ويشمل الاعتقال معظم قيادات الصف الأول، والثاني، والثالث لحماس في الضفة.

وفي انتفاضة الأقصى وُضع ياسر عرفات تحت حصار قاسٍ في مقره في رام الله لنحو سنتين ونصف، وتوفي في ظروف مريبة في 2004/11/11. كما استشهد عدد من قادة حماس الكبار أمثال جمال سليم وجمال منصور في 2001/7/31، وصلاح شحادة في 2002/7/22، وإسماعيل أبو شنب في 2003/8/21. وتلقت حماس إحدى أقسى الضربات باستشهاد زعيمها ومؤسسها في قطاع غزة الشيخ أحمد ياسين في 2004/3/22، ثم تبعه استشهاد عبد العزيز الرنتيسي في 2004/4/17. وبلغ عدد شهداء كتائب القسام 604 شهداء خلال انتفاضة الأقصى (2000/9/28–نهاية 2005) وهذا بخلاف أعداد أخرى من شهداء حماس غير العسكريين ومن أنصارها.[137] كما اغتال الصهاينة أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في 2001/8/27.

وقد شاركت الفصائل الفلسطينية كافة في العمليات العسكرية. وحسب التقديرات الإسرائيلية فقد نفذّت المقاومة الفلسطينية 22,406 عملية خلال الفترة 2000/9/29–2005/7/24.[138] وتميزت حركة حماس بدورها البارز وبعملياتها الاستشهادية التي أحدثت دوياً هائلاً، وزعزعت الأمن في الكيان الإسرائيلي حيث نُفِّذ معظمها في فلسطين المحتلة سنة 1948. وحتى 2005/12/1 حدثت 135 عملية استشهادية، نفَّذت حماس منها 61 عملية، بالإضافة إلى عمليات كثيرة نفذتها كتائب شهداء الأقصى والجهاد الإسلامي.[139]

وخلال انتفاضة الأقصى، شكَّلت الجهاد الإسلامي ذراعها العسكري "سرايا القدس"، ونفذت عدداً من العمليات الاستشهادية مثل عملية مفرق برديس حنا في 2001/11/29، وعملية مفرق كركور في 2002/10/21، وعملية رأفت أبو دياك في 2002/3/20، وعملية راغب جرادات في 2002/4/10، وعملية مفرق مجدو في 2002/6/5. كما نفَّذت عمليات اقتحام واشتباك مع الصهاينة مثل عملية زقاق الموت في الخليل في 2002/11/15 وغيرها.[140]

ومن العمليات التي تستحق الإشارة؛ عملية اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي Rehavam Ze'evi في 2001/10/17، وهو جنرال سابق في الجيش، ومن أشد الصهاينة تطرفاً. وقد نفَّذت الجبهة الشعبية هذه العملية انتقاماً لاغتيال أمينها العام أبو علي مصطفى.

ويشير تقرير جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) —Israel Security Agency (Shabak) ISA إلى مقتل 1,513 إسرائيلياً وجرح 3,380 آخرين منذ بدء الانتفاضة وحتى تموز/ يوليو 2005.[141]

وحسب تقرير رسمي صادر عن دائرة الإحصاء المركزية Central Bureau of Statistics (CBS) الإسرائيلية، فإن سنة 2002 كانت الأسوأ من الناحية الاقتصادية في تاريخ الكيان الصهيوني منذ خمسين عاماً (1953–2003).[142] وانخفض المعدل السنوي لمعدل ناتج الفرد بنحو 3 آلاف دولار (من 18,600 دولار سنة 2000 إلى 15,600 دولار سنة 2002). وحسب بعض التقديرات، فإن مجموع الخسائر الاقتصادية الإسرائيلية خلال السنتين الأوليين للانتفاضة بلغت نحو 8 مليارات دولار أي نحو 11 مليون دولار يومياً.

وكان من أبرز نتائج هذه الانتفاضة أن التيار الإسلامي تصدَّر بشكل قوي العمل العسكري المقاوم، وفرض نفسه في المعادلة الفلسطينية، وهو وإن لم يصبح جزءاً من المؤسسة "الرسمية" الفلسطينية، إلا أنه لم يعد بالإمكان تجاهله أو تجاوزه؛ حيث إن فعله المقاوم على الأرض، جعله قادراً إلى حدٍّ كبير على تعطيل أو تعويق مسيرة التسوية السلمية، والمسارات التي اختطتها لنفسها قيادة فتح التي تقود المنظمة والسلطة. وهو ما دفع فتح للدخول في مفاوضات مع حماس في أثناء الانتفاضة، من أجل الوصول إلى

هدنة، وترتيب البيت الفلسطيني، انتهت بإعلان القاهرة في 2005/3/17 الذي توافقت فيه الفصائل الفلسطينية على إصلاح البيت الفلسطيني، وإجراء انتخابات بلدية وتشريعية للسلطة الفلسطينية، وإعادة بناء منظمة التحرير.

الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة 2005:

قامت "إسرائيل" بتنفيذ انسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة في النصف الثاني من سنة 2005. وبغض النظر عن العوامل السياسية والاستراتيجية التي دفعت "إسرائيل" للانسحاب، فإنه قد كان للمقاومة الفلسطينية دور كبير في دفعها إلى ذلك. وقد برزت حماس كأكثر الفصائل فعالية في المقاومة في قطاع غزة. وحسب دراسة إحصائية أعدتها كتائب القسام، فقد اعترف الإسرائيليون بوقوع 400 عملية في قطاع غزة أدت إلى إصابات في الجانب الإسرائيلي منذ بداية انتفاضة الأقصى وحتى 2005/8/15، وقد نفَّذت كتائب القسام 217 عملية، أدت إلى مقتل 79 إسرائيلياً، من أصل 167 اعترف بمقتلهم، وإلى جرح 646 إسرائيلياً، من أصل 1,084 إسرائيلياً اعترف بإصابتهم بجراح. بينما قتلت سرايا القدس (الجهاد الإسلامي) 12 إسرائيلياً وجرحت 104 آخرين، وقتلت كتائب الأقصى (فتح) ثمانية إسرائيليين وجرحت 43 آخرين؛ أما العمليات المشتركة التي كان يقوم بها فصيلان أو أكثر، فقد أدت إلى مقتل 51 إسرائيلياً وجرح 130 آخرين. وبغض النظر عن مدى القبول بهذه الإحصائيات لدى الجهات المختلفة، فإنه مما لا شكّ فيه أن حماس اكتسبت أكثر المواقع تقدماً في المقاومة المسلحة خلال انتفاضة الأقصى.[143]

سادساً: الأداء العسكري للتيار الإسلامي 2006–2022:

تابعت "إسرائيل" عدوانها في الفترة 2006–2022، كما تابعت الفصائل الفلسطينية مقاومتها، وإن بوتيرة وأشكال مختلفة. وكان من أبرز ملامحها:

- تجذر العمل الإسلامي المقاوم، واستمرار تصدره للمقاومة المسلحة، واستعصاءه على الضرب والتهميش؛ وانتزاعه لـ"الشرعية الشعبية" من خلال فوزه الساحق في انتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية سنة 2006، ودخوله في "شراكة مشاكسة" مع فتح في قيادة الشعب الفلسطيني. فمع إصرار فتح على الاستئثار بقيادة منظمة التحرير والسلطة، ومع حدوث ما يعرف بالانقسام الفلسطيني أصبح ثمة

"شرعيتان" فلسطينيتان؛ نتيجة سيطرة فتح على السلطة في الضفة الغربية، وسيطرة حماس على السلطة في قطاع غزة سنة 2007.

- تابعت السلطة في رام الله التزامها بمسار التسوية، وتابعت سلوكها الأمني القمعي (بالتنسيق مع الجانب الإسرائيلي) تجاه قوى المقاومة في الضفة، ليكون ذلك مبرراً أساسياً لبقائها لدى الصهاينة والأمريكان والقوى الغربية، كما استندت في استمرار هيمنتها على منظمة التحرير والتمثيل الرسمي الفلسطيني إلى البيئة العربية والدولية، المتوافقة مع مسارها السياسي (التسوية وحلّ الدولتين) والمعارضة في أغلبها لتصدر العمل الإسلامي المقاوم للمشهد الرسمي الفلسطيني مهما كانت شعبيته. ولذلك، فإن التيار الإسلامي المقاوم بالرغم من اتساع شعبيته وفرصه الأقوى في الفوز بأي انتخابات شفافة ونزيهة، وبالرغم من تأييد الغالبية الفلسطينية لمسار العمل المقاوم، فإن هذا التيار عانى من محاولات التهميش الرسمي الفلسطيني والعربي والدولي، وعانى من الحصار الخانق خصوصاً في قطاع غزة، كما عانى من تجفيف ينابيع الدعم في البلدان العربية، ومن الاتهام بـ"الإرهاب" في العالم الغربي. ومع ذلك، فما زال هذا التيار قادراً على فرض نفسه بقوة في المعادلة الفلسطينية.
- بلغ التنسيق الأمني في الضفة الغربية مراحل متقدمة، وأعلنت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية عن إحباط الكثير من عمليات المقاومة الفلسطينية خلال تلك الفترة، والكشف عن خلايا للمقاومة، بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وأشارت مصادر أمنية وعسكرية إسرائيلية عديدة، كان من أبرزها رئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي غادي آيزنكوت Gadi Eisenkot، إلى أن التنسيق الأمني يحول دون عودة حركة حماس لعملياتها بالضفة.[144] وعلى سبيل المثال، فقد قال رئيس جهاز الشاباك نداف أرغمان Nadav Argaman، أمام لجنة الخارجية والدفاع في الكنيست في 2018/11/6، أنّه تمّ إحباط 480 هجوماً منذ بداية سنة 2018، واعتقال أعضاء 219 خلية تابعة لحماس، وإحباط 590 عملية كان سينفذها أفراد.[145] وبشكل عام، فإن الأجهزة الأمنية الفلسطينية تحبط ما معدله 40% من عمليات المقاومة في الضفة الغربية.[146]
- تمّ ضرب المقاومة الفلسطينية وتفكيك معظم خلاياها في الضفة الغربية، بسبب التعاون الشامل والمنهجي بين السلطة الفلسطينية في رام الله وبين الاحتلال الإسرائيلي. غير أن ذلك لم يمنع من استمرار العمل المقاوم، ولو بدرجات متفاوتة،

كما في انتفاضة القدس 2015–2017، وهبّة باب الأسباط، وهبّة باب الرحمة، وصولاً إلى تصاعد العمليات الفردية وتشكيل بؤر للمقاومة في جنين ونابلس سنة 2022.

- تصاعد قوة حماس والمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، برعاية الحكومة التي تقودها حماس، وتمكّنها من تجنيد عشرات الآلاف من عناصر المقاومة، ونجاحها في تطوير قدراتها القتالية، وفي تطوير أداء غرفة العمليات المشتركة، وفي خوض أربع معارك بطولية كبيرة في 2012 و2014 و2021 ضدّ العدو الصهيوني، ووضع كافة مناطق الاحتلال الصهيوني في مرمى صواريخ المقاومة.
- الاعتماد بشكل كبير على إطلاق الصواريخ في عمليات المقاومة، خصوصاً من قطاع غزة، وخفوت ظاهرة العمليات الاستشهادية التي طبعت انتفاضة الأقصى.
- بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين في الفترة 2006–2021 ما مجموعه 7,258 شهيداً، كما بلغ عدد الجرحى 105,888 جريحاً. وبلغ عدد قتلى الصهاينة 342 قتيلاً، والجرحى 3,324 جريحاً بحسب ما اعترفوا به. وكان المعدل السنوي للشهداء الفلسطينيين نحو 454 شهيداً وللجرحى 6,618 جريحاً.[147] وهو ما يشير إلى استمرار العدوان الصهيوني وشراسته ضدّ الشعب الفلسطيني وضدّ مقاومته، كما يشير إلى أن مقاومة الشعب الفلسطيني استمرت ولم تتوقف في مواجهة الاحتلال. غير أن ثمة تبايناً شاسعاً بين الإمكانات العسكرية الصهيونية الضخمة، والتي عادة ما تلجأ لقتل الأبرياء والمدنيين في محاولة تركيع وتطويع الشعب الفلسطيني؛ وبين الإمكانات المحدودة للمقاومة في بيئة فلسطينية تحت الاحتلال والحصار. كما أن توقف المقاومة عن العمليات الاستشهادية في هذه الفترة، والاعتماد أكثر على الصواريخ والاحتكاك عن بعد (كما في المعارك مع المقاومة في غزة)، قلّل من خسائر الصهاينة في الأرواح مقارنة بانتفاضة الأقصى.
- شهدت السنوات التي خاضت فيها المقاومة في غزة معاركها البطولية مع الاحتلال أكبر عدد من الشهداء، وبلغت ذروتها سنة 2014 عندما استشهد 2,240 فلسطينياً. أما أكبر عدد للجرحى فكان في سنة 2018، معظمهم في مسيرات العودة التي نظَّمتها القوى الشعبية المقاومة في قطاع غزة حيث بلغ عددهم 31,603 جريحاً. وبالطبع، فإن معظم الشهداء والجرحى الفلسطينيين كانوا من المدنيين.[148]

• في صيف 2006، شنّ العدو الصهيوني عدواناً واسعاً على جنوب لبنان، تصدّت له قوى المقاومة بقيادة حزب الله، وأوقعت فيه خسائر جسيمة، اضطرته للاندحار وفشل في تحقيق أهدافه، بالرغم من الحرب التي استمرت 33 يوماً. وقدَّرت مصادر عربية خسائر الجانب الإسرائيلي بـ 400 قتيل معظمهم من الجنود؛ بينما اعترف الصهاينة بمقتل 83 جندياً و39 مستوطناً. وأعلن حزب الله تدميره لـ 120 دبابة ميركافا، و30 مدرعة، وبارجتين حربيتين، وخمس مروحيات؛ كما أَطلق حزبُ الله أكثر من 3,200 صاروخ على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة. وبلغت تكاليف الحرب بالنسبة للجانب الإسرائيلي نحو 5,227 مليون دولار أمريكي.[149]

وفيما يلي نتابع مسارات العدوان الصهيوني والعمل الإسلامي المقاوم في فلسطين:

في الفترة 2006–2008 تركَّزت الحملات العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة، بهدف إسقاط حكومة حماس، وضرب المقاومة، وإسكات صواريخها. وكان من أبرز الحملات عملية "أمطار الصيف" التي استمرت في الفترة 6/26–2006/10/31، والتي جاءت بعد قيام حماس، بالتعاون مع لجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام، بعملية "الوهم المتبدد"، التي أدت إلى أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط Gilad Shalit. وقد أدت عملية "أمطار الصيف" إلى استشهاد 400 فلسطيني وجرح 1,852 آخرين. كما نفَّذت "إسرائيل" حملة "غيوم الخريف" في تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، التي أدت إلى استشهاد 105 فلسطينيين وجرح 353 آخرين؛ وحملة "الشتاء الساخن" في 2/27–2008/3/3، والتي أدت لاستشهاد 107 فلسطينيين. وبالتأكيد فإن مثل هذه الحملات كانت تُواجه بمقاومة بطولية، وإن كانت غير متكافئة، من المقاومة الفلسطينية.[150]

العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: "معركة الفرقان" 2009/2008:

كان العدوان الإسرائيلي الشامل على قطاع غزة خلال الفترة 2008/12/27–2009/1/18 من أشدُّ الحملات الإسرائيلية شراسة واتساعاً، والتي عُرفت باسم "الرصاص المصبوب"، وسمتها المقاومة "معركة الفرقان". وقد واجهت آلة الحرب الإسرائيلية المدمرة صموداً بطولياً ومقاومة عنيفة من قبل حماس وباقي قوى المقاومة، ففشلت القوات الإسرائيلية في النهاية في احتلال القطاع، وفي كسر قوى المقاومة، وفي إسقاط الحكومة التي تقودها حماس، فاضطرت إلى الانسحاب غير

المشروط من قطاع غزة. وقد أعطى ذلك دفعاً معنوياً كبيراً لقوى المقاومة، ومساندة فلسطينية وعربية وإسلامية ودولية واسعة لها. وقد استشهد في العدوان الإسرائيلي 1,334 فلسطينياً، بينهم 417 طفلاً و108 نساء، وجرح 5,450 آخرين، كما تمّ تدمير 5,350 منزل وتضرر أكثر من 16 ألف منزل آخر بشكل جزئي. أما "إسرائيل" فلم تعترف إلا بمقتل 13 إسرائيلياً، ونحو 185 جريحاً؛ بينما قدَّرت قوى المقاومة أنها قتلت نحو 80 إسرائيلياً خلال هذا العدوان.[151]

معركة "حجارة السجيل" 2012:[152]

هاجم الجيش الإسرائيلي قطاع غزة في العملية التي أطلق عليها "عمود السحاب"، بينما أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية "حجارة السجيل" خلال الفترة 14–2012/11/21، وهو ما أدى إلى 191 شهيداً و1,526 جريحاً، غالبيتهم من الأطفال والنساء والمسنين. وهاجم الجيش الإسرائيلي خلال أيام العدوان نحو 1,500 هدف في القطاع، من بينها مقرات حكومية، وأنفاقاً، ومنصات صواريخ، ومنازل، وناشطين بارزين، ومخازن أسلحة.

وقد أدت عملية حجارة السجيل، حسب معطيات الشاباك، إلى مقتل 6 إسرائيليين، من بينهم جنديان، بينما بلغ عدد الجرحى 232 إسرائيلياً. كما سقط على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948 نحو 1,731 صاروخاً من قطاع غزة، استهدف مستعمرات الجنوب المحيطة بالقطاع، بالإضافة إلى تل أبيب والقدس. ووفقاً لحسابات شركة العلوم الاقتصادية والتي أجرتها في 2012/11/17، فإن تكلفة عملية حجارة السجيل وصلت إلى 1.1 مليار شيكل (278.3 مليون دولار) في أسبوع.

معركة "العصف المأكول" 2014:[153]

تعرض قطاع غزة إلى عدوان إسرائيلي واسع خلال الفترة 2014/7/7–2014/8/26، استمر 51 يوماً. أطلقت "إسرائيل" على هذا العدوان عملية "الجرف الصامد" وأطلقت عليه المقاومة الفلسطينية حرب "العصف المأكول". وكان واضحاً أن الجيش الإسرائيلي مارس سياسة الانتقام من المدنيين في قطاع غزة بشكل كبير؛ وتمثَّلت الصورة الأبرز لذلك في عمليات قتل جماعي لسكانٍ عزّل في بيوتهم.

وقد أظهر الأداء البطولي للمقاومة خلال 51 يوماً من الحرب، قدرتها (وتحديداً حماس) على تطوير أنظمة صواريخها، فازداد مداها إلى نحو 120 كم، لتصل في هذه

المعركة إلى معظم التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة. كما تمكنت المقاومة من اختراق الجانب الإسرائيلي براً وبحراً وجواً، وقدّمت المقاومة مفاجآت جديدة متميزة كالطائرات من دون طيار...؛ وحافظت قيادة العمل في قطاع غزة على منظومة القيادة والسيطرة، ولم تتعرض للضرب أو التعطيل. ووَقَعَ الطرف الإسرائيلي في حالة "عمى استخباري" على الأرض، مما أضعف بنك أهداف الإسرائيليين المحتملة. كما حققت المقاومة حالة التفاف وإجماع شعبي واسع، بالرغم من الضربات العنيفة البشعة التي وجهتها القوات الإسرائيلية للمناطق المدنية.

وتشير الإحصائية التي أعدها المرصد الأورومتوسطي إلى أن عدد الضحايا الإجمالي بلغ 2,147 شهيداً، منهم 530 طفلاً، و302 امرأة. وبلغ عدد الجرحى 10,870 جريحاً، منهم 3,303 أطفال، و2,101 امرأة. وهاجم الجيش الإسرائيلي خلال أيام العدوان نحو 5,263 هدفاً في القطاع. كما أدى العدوان إلى تدمير 17,123 منزلاً، منها 2,465 منزلاً دُمِّرت بشكل كلي، و14,667 منزلاً دُمِّرت بشكل جزئي، إضافة إلى 39,500 من المنازل لحقت بها أضرار.

وقدَّر وكيل وزارة الاقتصاد الفلسطينية تيسير عمرو في 2014/8/28 أن إجمالي الخسائر التي تعرَّض لها قطاع غزة خلال أيام العدوان تتراوح بين 7.5 و8 مليارات دولار "شاملة الخسائر المباشرة وغير المباشرة".

وقد أدت عملية العصف المأكول، حسب معطيات الشاباك، إلى مقتل 73 إسرائيلياً، من بينهم 67 جندياً، بينما بلغ عدد الجرحى 312 إسرائيلياً. كما سقط على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948 نحو 4,692 صاروخاً من قطاع غزة، استهدفت مستعمرات الجنوب المحيطة بالقطاع، بالإضافة إلى تل أبيب، والقدس، وحيفا، والخضيرة وغيرها. وقدّرت مصادر إسرائيلية الأضرار الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة للحرب بـ 12 مليار شيكل (نحو 3.07 مليارات دولار).

انتفاضة القدس 2015–2017:[154]

شكّلت انتفاضة القدس واحدة من أهم التطورات التي أقلقت الاحتلال منذ اندلاعها في تشرين الأول/ أكتوبر 2015؛ والتي هبّ فيها الشعب الفلسطيني خصوصاً في منطقة القدس، ليوجِّه للمحتل رسالة بأن المسجد الأقصى والمقدسات خطّ أحمر لا يمكن تخطيه.

واتَّسمت انتفاضة القدس بعمليات المقاومة المبنية على المبادرة الفردية، لا سيّما عمليات الطعن والدعس، التي أبدع الفلسطيني في إيجاد وسائلها، وبالدور البارز للشباب. وقد أسفرت عمليات المقاومة عن مقتل 57 إسرائيلياً، وإصابة 416 آخرين، وذلك حسب معطيات جهاز الشاباك الإسرائيلي.

وقد قامت سلطات الاحتلال بانتهاكات جسيمة شملت كافة مناحي الحياة للمواطن الفلسطيني، بالإضافة إلى ارتكاب إعدامات ميدانية بحقّ الشبان والأطفال والفتيات على الحواجز، وعمليات الاعتقال وترويع المواطنين، ومصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وتشريد مئات المواطنين. وذكرت دراسة إحصائية أعدها مركز عبد الله الحوراني للدراسات والتوثيق، بمناسبة مرور عامين على انطلاق الانتفاضة في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، أن مجمل عدد شهداء انتفاضة القدس بلغ 347 شهيداً، بينهم 79 طفلاً و17 امرأة.

هبَّة باب الأسباط 2017:[155]

إثر عملية فدائية في 2017/7/14، عند باب الأسباط بالمسجد الأقصى المبارك أدت إلى قتل اثنين من جنود الاحتلال المتمركزين عند الباب، واستشهاد المنفذين؛ قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بوضع بوابات إلكترونية كاشفة للمعادن على مداخل المسجد الأقصى، وبتثبيت كاميرات خارجه لمراقبة الوضع فيه، وسيطرت على مفاتيح الغرف والمكاتب التي كانت تشغلها الأوقاف؛ وقامت بتشديد القيود على الطرق المؤدية إلى الأقصى.

أدرك الشعب الفلسطيني وقياداته من العلماء في القدس، خطورة الإجراءات الإسرائيلية التي هدفت لفرض إدارتها الأمنية المباشرة على الأقصى، وتقليص دور الأوقاف بشكل واسع، فرفضوا الدخول من تلك البوابات، ورفضوا الصلاة في الأقصى إلا بعد عودة الوضع إلى ما كان عليه قبل 14 تموز/ يوليو تماماً، وتابعوا هبَّتهم الشعبية التي لقيت تضامناً شعبياً فلسطينياً وعربياً وإسلامياً واسعاً. وبعد عشرة أيام، اضطرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى تفكيك البوابات الإلكترونية، وفي 2017/7/27، اضطرت إلى إزالة الممرات والجسور الحديدية، ثم سمحت بفتح باب المطهرة لتكون جميع أبواب المسجد الأقصى قد عادت إلى ما كانت عليه قبل 2017/7/14.

من جهة أخرى، أظهر تقرير صادر عن مركز عبد الله الحوراني للدراسات والتوثيق التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، ارتقاء عشرين شهيداً، خلال تموز/ يوليو 2017، من بينهم 15 بسبب أحداث المسجد الأقصى، وإصابة وجرح أكثر من 1,400 فلسطيني. وفي المقابل، سجَّل الشاباك 222 عملية مقاومة في تموز/ يوليو 2017 في الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، وقطاع غزة، وداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، وأسفرت عمليات المقاومة عن مقتل 5 إسرائيليين، وإصابة 7 آخرين، وذلك حسب معطيات جهاز الشاباك الإسرائيلي.

هبَّة باب الرحمة 2019:[156]

في سنة 2003، أغلقت سلطات الاحتلال باب الرحمة. وقد بدأت الهبّة بعدما اكتشف المصلون في المسجد الأقصى أن شرطة الاحتلال وضعت قفلاً على البوابة مساء 2019/2/17، إثر اجتماع مجلس الأوقاف الجديد في المبنى، وأداء صلاة الظّهر فيه. في اليوم التالي، أدّت جماهير القدس صلاة الظهر في منطقة باب الرحمة، وخلع الشّبان البوابة واشتبكوا مع قوات الاحتلال، وتحوّلت المنطقة إلى نقطة تجمّع ورباط وصلاة، مما حوّلها إلى ميدان مواجهة. وتوّج المشهد بفتح باب الرحمة ودخول أبناء القدس منه في 2019/2/22، لأوّل مرة منذ أغلقته شرطة الاحتلال سنة 2003.

معركة صيحة الفجر:[157]

خاضت هذه المعركة سرايا القدس التابعة للجهاد الإسلامي وفصائل فلسطينية في الفترة 12–2019/11/15، رداً على اغتيال قائد أركان المقاومة في سرايا القدس بهاء أبو العطا، على مدى ثلاثة أيام، حيث قصفت التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948، واستشهد 16 شهيداً من سرايا القدس. وأسفر العدوان الصهيوني وغاراته الجوية على قطاع غزة عن استشهاد 34 فلسطينياً وجرح أكثر من مئة آخرين.

مسيرات العودة وكسر الحصار 2018–2019:[158]

في إبداع جديد في أساليب مقاومة الاحتلال، طرحت مجموعات فلسطينية على وسائل التواصل الاجتماعي في كانون الثاني/ يناير 2018، فكرة تنظيم مسيرات جماهرية في قطاع غزة والضفة الغربية والشتات الفلسطيني بشكل متزامن، تهدف إلى تحقيق عودة اللاجئين الفلسطينيين فعلياً، وبشكل سلمي، وتحت العلم الفلسطيني، إلى أرضهم

وبيوتهم التي أُخرجوا منها في حرب 1948، وحدّدوا يوم الأرض تاريخاً لانطلاق هذه المسيرات.

وتشكلت اللجنة التنسيقية العليا لمسيرة العودة الكبرى؛ وأكدت على أنها حالة جماهيرية غير فصائلية، تستهدف التحشيد الواسع للاجئين، والتقدم التدريجي باتجاه الحدود. غير أن انضمام الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة لمشروع المسيرة في 2018/3/17 أعطاها بُعداً مقاوماً، وتمّ بعد ذلك تشكيل إطار جديد هو "الهيئة الوطنية العليا لمسيرة العودة وكسر الحصار"؛ ليضيف بُعداً محلياً بإضافة هدف كسر الحصار إلى اسمها. وكانت البداية يوم الجمعة في 2018/3/30، حيث لقيت تجاوباً واسعاً. وشكّلت مسيرات العودة واحدة من أهم التطورات التي أقلقت الاحتلال؛ وبدت سلطات الاحتلال عاجزة أمامها، على الرغم من الإجراءات والسياسات التي تتبعها. وفي قطاع غزة اتخذت الفكرة شكلاً عملياً، حيث البيئة الحاضنة للمقاومة، وحيث المعاناة من الحصار، وحيث إن معظم أبناء القطاع هم من اللاجئين.

وحتى نهاية 2019 تمّ تنفيذ 86 مسيرة عودة. وقدَّم الشعب الفلسطيني نموذجاً بطولياً في مسيراته، ومواجهته للعدو، واقتحام مواقعه، وإرساله طائراته الورقية وبالوناته الحارقة للمستعمرات. وتوالت أيام الجُمَع، لتصل ذروتها في 2018/5/14، يوم الاحتفال الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، حيث قدَّم قطاع غزة في ذلك اليوم 58 شهيداً، و2,771 جريحاً. وأفاد مركز الميزان لحقوق الإنسان، في 2019/12/20، أن قوات الاحتلال قتلت 364 فلسطينياً في قطاع غزة منذ انطلاق مسيرات العودة الكبرى. وأشار المركز إلى أن 19,173 فلسطينياً؛ بينهم 4,987 طفلاً و864 سيدة، أصيبوا خلال مشاركتهم في فعاليات مسيرات العودة، بالإضافة إلى إصابة الآلاف بالاختناق.

تميَّزت مسيرات العودة بالإقبال الجماهيري الواسع، خصوصاً في قطاع غزة، وتفاعل كافة الشرائح الاجتماعية. وعبَّرت بشكل صادق وقوي عن تمسك الشعب الفلسطيني بحقّ العودة، وتجلت فيها الوحدة الوطنية في المسيرات، وتميَّزت بالإبداع، إذ ترافقت معها فعاليات إبداعية، كالطائرات الورقية والبالونات والإرباك الليلي؛ ونجحت في إجبار الأطراف المشاركة في حصار قطاع غزة على تخفيفه.

معركة سيف القدس 2021:[159]

هبَّ أهل القدس في مواجهة محاولات الصهاينة مصادرة حي الشيخ جراح، والسعي الصهيوني الدؤوب لتهويد المسجد الأقصى والقدس، وتصاعدت المواجهات في العشر الأواخر من رمضان 1442هـ (أوائل أيار/ مايو 2021). وقد قررت قيادة حماس في غزة الانتصار للقدس وأهلها، فأطلقت صواريخها على الكيان الصهيوني بعد أن رفض التراجع عن إجراءاته في الشيخ جراح والأقصى. واتسعت دائرة المعركة، التي سمتها المقاومة "سيف القدس" وأسماها الصهاينة "حارس الأسوار"، لتستمر على مدى 11 يوماً 10–2021/5/21.

ولأول مرة فرضت حماس وقوى المقاومة في غزة معادلة جديدة تربط بينها وبين القدس، ونابت عن الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية في الدفاع عن الأقصى والمقدسات، بالرغم مما تعانيه غزة من حصار ومن شُحٍّ في الإمكانات. وبالرغم من العدوان الصهيوني الشرس المدمر على قطاع غزة، فإن المقاومة نجحت في مواجهة العدوان، وفي تطوير أدائها العسكري الرادع، وغطى مدى صواريخها الذي وصل إلى 250 كم، كلَّ الأماكن التي يسيطر عليها الكيان، وتمكنت الصواريخ التي بلغ عددها نحو 4,400 صاروخ، والتي اتسمت بمزيد من الدقة والقدرة التفجيرية من اختراق القبة الحديدية Iron Dome، وضرب المدن والتجمعات الصهيونية، مما اضطر ملايين الإسرائيليين للذهاب إلى الملاجئ، كما توقفت حركة القطارات بين وسط الكيان وجنوبه، وتّم تعليق الطيران بمطار بن جوريون Ben Gurion.

واتَّسمت هذه المعركة بتصعيد الانتفاضة الشعبية في القدس وباقي الضفة الغربية وفلسطين المحتلة 1948، كما اتسمت بتفاعل شعبي كبير في الخارج فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ودولياً؛ وخرجت المظاهرات الضخمة في كافة أرجاء العالم بما في ذلك أوروبا وأمريكا منددة بالعدوان الصهيوني. وتوحَّد الشعب الفلسطيني خلف المقاومة، في الوقت الذي انعزلت فيه قيادة السلطة والمنظمة سياسياً وشعبياً، وثبت فشل مسار التسوية السلمية. وقد اعترف سياسيون وعسكريون وأمنيون وإعلاميون صهاينة كبار بأن حماس وقوى المقاومة فازت في هذه المواجهة، وبأن "إسرائيل" خرجت خاسرة.

أدى العدوان الصهيوني الذي تركز على المدنيين والمباني السكنية والمنشآت العامة، إلى استشهاد 260 شهيداً في قطاع غزة، بينهم 66 طفلاً، و40 امرأة، و17 مُسنّاً، وإصابة 1,948 بجراح؛ بينما استشهد في الضفة الغربية 29 شهيداً، وأصيب نحو 6,300 بجراح؛ واستشهد اثنان من فلسطينيي 1948 وجرح كثيرون. ودمَّر الصهاينة نحو 1,800 وحدة سكنية في قطاع غزة، بالإضافة إلى إصابة آلاف الوحدات الأخرى بأضرار. وفي الطرف الإسرائيلي قُتل 13 وجرح نحو 330 آخرين، كما أصيبت الكثير من المباني بأضرار، وقدَّم إسرائيليون 3,424 طلب تعويض عن أضرار لحقت بممتلكاتهم ومساكنهم ووسائل تنقلهم. وخسر الاقتصاد الإسرائيلي نحو 2,140 مليون دولار.

معركة وحدة الساحات:[160]

خاضت حركة الجهاد الإسلامي هذه المعركة في الفترة 5–2022/8/7 في مواجهة العدوان الإسرائيلي على القطاع، حيث أطلقت الحركة نحو 950 صاروخاً على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948؛ واستشهد من حركة الجهاد 12 شهيداً كان من أبرزهم تيسير الجعبري قائد المنطقة الشمالية بقطاع غزة، وخالد منصور قائد المنطقة الجنوبية، وبلغ العدد الكلي للشهداء 49 والجرحى 360.

خلاصة:

نضع هنا أبرز الخلاصات المتعلقة بمسار التيار الإسلامي المقاوم:

- أثبتت التجربة أن الإسلام هو الأقدر على تعبئة الجماهير، وبثّ روح الصمود والثبات والتضحية، وتصعيد المقاومة والثورة. ولذلك، فإن التيار الإسلامي سرعان ما تصدّر المقاومة المسلحة والالتفاف الشعبي عندما استعاد زمام المبادرة. بل إن التيارات الوطنية والقومية استخدمت وتستخدم لغة تعبوية إسلامية عندما يتعلق الأمر بالمقاومة ومواجهة الاحتلال.
- البركة في الجهاد ومقارعة العدو المحتل، وليس ثمة خوف على الرزق ولا على الأجل فهي بيد الخالق سبحانه، وليست بيد المخلوق. وليس ثمة خوف على التنظيم وعلى درجة الشعبية وعلى توفير التمويل؛ فبالرغم من قسوة الضربات التي تعرَّضت لها المقاومة، إلا أنها في كل مرة كانت تخرج أصلب عوداً، وأكثر شعبية؛ وكان واضحاً

أن صعود خط المقاومة وزيادة تأثيره مرتبط باستمرار فعله على الأرض وبتصعيده، وليس بانتقال محور أدائه من العسكري إلى السياسي. على أنه يجب أن يُفهم أن من حق قوى المقاومة المخلصة أن تحدد أوقات التصعيد والتهدئة ووسائل المقاومة وأدواتها، ما دامت رسالتها وبوصلتها ثابتة لا تتبدّل.

- إن التقسيمات الاستعمارية لبلداننا، وخصوصاً سايكس – بيكو، لا ينبغي أن تنعكس على تفكيرنا ومشاعرنا وإيماننا بوحدة أمتنا. ولا يجوز أن يتحول العمل في الإطار الوطني إلى انكفاء قطري أو شعور عنصري. وقدسية فلسطين وبركتها ليست مرتبطة بالحدود التي حددها المستعمر البريطاني. وأبناء فلسطين هم جزء من أهل الشام الذين هم جزء من الأمة، وهم يتقدمون الصفوف باعتبارهم أهل الثَّغر. ومشروع التحرير هو مشروع نهضوي وحدوي تشترك فيه الأمة وخصوصاً في البيئة الاستراتيجية المحيطة بفلسطين.

- برزت مركزية القدس والأقصى في الثورات والانتفاضات الفلسطينية، وظهر واضحاً ما لهما من قدرة على التعبئة والتحشيد للشعب الفلسطيني، وللأمة الإسلامية، وأصبحا عنواناً للوحدة الإسلامية الجامعة، وموحداً للبوصلة في مواجهة العدو. كما برزت القيمة الهائلة للمساجد كمراكز للإعداد الإيماني والتربوي، وفي تعميق الصمود، وكمنطلقات للمظاهرات ومواجهة الاحتلال. حتى إن انتفاضة 1987–1993 عُرفت بانتفاضة المساجد، كما أن أقوى انتفاضة معاصرة 2000–2005 عُرفت بانتفاضة الأقصى. ويمكن استذكار مواجهات الدفاع عن النفق أسفل المسجد الأقصى 25–1996/9/27، وانتفاضة القدس 2015–2017، وهبتي باب الأسباط 2017 وباب الرحمة 2019، ومعركة سيف القدس 2021 وغيرها.

- أثبتت التجربة قدرة المقاومة وخصوصاً الإسلامية على تعبئة وتحشيد العالم العربي والإسلامي، وعلى تعطيل مسار التسوية السلمية، وعلى تعويق مسارات التطبيع وكشف الوجه القبيح للأنظمة المُطبِّعة مع العدو. كما أن الدفاع عن القدس والمقدسات وفلسطين وفَّر أداة قياس معيارية لدى الشعوب تجاه أنظمتها ورموزها، فمن انتصر لفلسطين ارتفع في عيونها، ومن خذل فلسطين سقطت مكانته وانفضّ عنه الناس.

- كان للتيار الإسلامي (تحديداً جماعة الإخوان) دور ريادي في إطلاق العمل العسكري المقاوم بعد كارثة حرب 1948، وخصوصاً في قطاع غزة وعبر الحدود المصرية. غير

أن هذا العمل الجهادي عانى من التعطُّل بسبب الحرب الشرسة التي شنها نظام عبد الناصر (وعدد من الأنظمة العربية) على الإخوان وعلى التيار الإسلامي بشكل عام. وقد لجأ الإخوان إلى حفظ النفس والانكفاء على الذات، بانتظار نضج ظروف أفضل. ونشأت في هذه الأجواء بعض البيئات الداخلية التي تعاظمت في داخلها الرغبة في حفظ النفس والعمل التربوي على حساب روح المبادرة والمغامرة ومقارعة الظروف والتدافع، كما ظلت هناك بيئات داخلية تتطلع إلى التطبيق العملي للإسلام دعوة وجهاداً وريادة سياسية واجتماعية وتفاعلاً مع الواقع. وبالتالي، فقد عاشت أوساط التيار الإسلامي لنحو عقدين من الزمن بين الواقعية المُتكيِّفة مع الظروف وبين التطلع للتغيير. وكانت تجربة معسكرات الشيوخ 1968–1970 إحدى الفرص التي تعاملت معها بإيجابية قطاعات من الإخوان، بينما كان ما يزال إخوان آخرون يميلون للتريث وللمزيد من الاستعداد.

- شكّلت جماعة الإخوان الحاضنة التي نشأت فيها حركة فتح، والتي اتجهت بعد ذلك اتجاهاً علمانياً. وتُبرز تجربة فتح أهميةَ التأسيس الإيماني والتربوي العميق للجيل القيادي المؤسس، وأهمية وضوح الرؤية والرسالة لضبط المسار والبوصلة؛ حتى لا يجد الشباب الإسلامي المتحمس نفسه وقد أضاع الرؤية وفقد البوصلة بعد أن خسر الجوهر، فتم ملء القالب "الوطني" بمضمون "علماني"، وأصبح الغطاء والشكل هو الحاكم على الأداء. كما أصبح البقاء في مواقع النفوذ والهيمنة السياسية مقدماً على الثوابت، وعلى البناء المؤسسي الفعّال لمؤسسات التمثيل الرسمية الفلسطينية؛ فكان اتفاق أوسلو 1993 الذي فرَّط بمعظم فلسطين التاريخية وتعهَّد بوقف العمل المقاوم؛ بينما تكرست عقلية الهيمنة والاستحواذ في قيادة منظمة التحرير والسلطة، ولو على حساب تدهور المؤسسات وانهيارها وفقدان الشرعية الشعبية.
- أظهرت التجربة أهمية المبادرة المصحوبة بقدر من الجرأة أو "المغامرة" المحسوبة، أو بعبارة أدق بحسن التوكل على الله، في تحقيق قفزات نوعية في العمل الجهادي المقاوم لتحرير فلسطين. كما ظهرت في معسكرات الشيوخ وفي روح المبادرة لدى خيري الأغا وسليمان حمد في توحيد التنظيم الفلسطيني للإخوان مع التنظيم الأردني وإنشاء تنظيم بلاد الشام، وفي مبادرة الشيخ أحمد ياسين بإطلاق العمل الجهادي في قطاع غزة، وفي مبادرة إنشاء جهاز فلسطين وتوفير الغطاء للعمل الجهادي، وفي قرار إطلاق حماس وتفجير الانتفاضة... وغيرها.

- أظهرت التجربة مدى أهمية التأسيس الإيماني الحركي القوي للعمل الشبابي، ثم إعطائه الصلاحيات والفرص الكاملة لأخذ دوره، وهو ما برز واضحاً في تجربتي خيري الأغا وسليمان حمد في الخارج، وفي تجربة الشيخ أحمد ياسين في قطاع غزة، وتجربة حسن القيق في الضفة الغربية... وهو ما وفَّر للإخوان ولحماس في حينه قدرة عالية على توريث الأجيال واستمرار العمل قوة وتوسعاً وإبداعاً.

- إنّ صعود حماس وقوى المقاومة الإسلامية وفرض نفسها في المعادلة الفلسطينية، لم يرتبط بدخول المؤسسة الرسمية الفلسطينية (منظمة التحرير)؛ بل ارتبط بالفعل المقاوم على الأرض وبالقدرة على تحشيد الجماهير والأمة حول برنامجها خصوصاً في الفترة 1987–2005. وبالرغم من أهمية الحصول على "الشرعية الرسمية" والتمكن من قيادة المؤسسات التمثيلية الفلسطينية وتوجيهها، باعتبارها مظلة مساحة نضالية للتعبير عن إرادة الشعب الفلسطيني، ولتحشيد قواه في معركة التحرير؛ إلا أنّ بيئة العمل الرسمي الفلسطيني (إن لم يتم التعامل معها بالشكل المناسب) يمكن أن تتحول إلى أثقال وقيود؛ تُضيّق الخناق على العمل المقاوم، بحجة استرضاء البيئات السياسية العربية والدولية، بينما تعيش هاجس الخوف من نزع الشرعية، وتضبط إيقاع العمل المقاوم وفق مسارات لا تُغضب الآخرين، وتحوّل المقاومة إلى أداة سياسية قبل أن تكون للمقاومة قوة سياسية تفرض نفسها فرضاً على الواقع العربي والدولي.

- في المقابل، تمّ استخدام "الشرعية الرسمية" الفلسطينية، خصوصاً بعد اتفاق أوسلو كأداة لشرعنة الاحتلال والتنازل عن الثوابت، وفي محاربة المقاومة ومحاصرتها وتهميشها، ونزع شرعيتها ورفع الغطاء عنها؛ كما استُخدمت في محاولة تطويع المقاومة وتدجينها وفق ما يسمى "الشرعية الدولية" وشروط الرباعية الدولية. كما استُخدمت هذه الشرعية في إعطاء إيحاء غير صحيح عن التوجهات الحقيقية للشعب الفلسطيني، ومحاولة فرض مسار التسوية بعكس إرادته وبعكس إرادة الأمة. وقد دفع الشعب الفلسطيني أثمان كبيرة نتيجة تردي المؤسسات الرسمية الفلسطينية وانعدام فاعليتها النضالية، وعدم تعبيرها عن "شرعية شعبية" حقيقية، وإغلاقها الأبواب في وجه إصلاحها وتفعيلها، واستيعاب قوى المقاومة (وخصوصاً الإسلامية) وفق أوزانها الحقيقية... وهو ما تسبّب بما يعرف بـ"الانقسام" الفلسطيني. ولذلك، فلا بدّ من السعي للوصول إلى "شرعية رسمية" فلسطينية، تعبّر عن إرادة الشعب الفلسطيني وأمته، وتكون طليعة مشروع التحرير.

- من ناحية أخرى، استفادت حماس جزئياً من "الشرعية" الفلسطينية إثر فوزها في الانتخابات في 2006، واعتراف العديد من الدول بشرعيتها السياسية، وتوفير الغطاء الرسمي لسيطرتها على قطاع غزة، وفي "شرعنة" خط المقاومة؛ وظلت متمسكة بالثوابت وبخطها الإسلامي المقاوم بالرغم من شدة الضغوط وقسوتها.

- إن طبيعة العمل المقاوم ومشاريع التحرير، تحتاج إلى روح إيمانية رسالية، وإلى روح جهادية ثورية، كما تحتاج إلى دينامية عمل عالية، وإلى التخفّف من الأعباء البيروقرطية، والتركيز على "الرواحل" الذين يحملون المقاومة، ولا يثقلونها بالتكاليف والرسميات والشكليات. وعلى المقاومة الإسلامية أن تَحْذَر من "فخ" الاسترخاء والتكيّف والتموضع في بيئات الهدوء والاستقرار؛ وأن تحذر من "فخ" توفر المال والتمويل "خصوصاً الرسمي" في مراحل معينة فتُكيّف نفسها على أساسها، حتى لا تجد نفسها أسيرة بأيّ حال لأي من مصادر التمويل. وعليها أن تبذل الغالي والنفيس في الحفاظ على استقلال قرارها وألاّ تساوم على هويتها ورسالتها وأدائها الجهادي، وعلى حاضنتها الشعبية وانتمائها للأمة.

- كان من أسباب نجاح حماس وحفاظها على قوتها وتماسكها طوال الفترة الماضية، وجود نواة رسالية صلبة، ووجودُ بناء شُوري مؤسسي، وانتخابات دورية منتظمة، والقدرة على النقد الذاتي الداخلي، وعدم تقديس الأشخاص، والقدرة على التوريث القيادي. وأسهم في قوتها أيضاً التصاقها بالجماهير وهموم الناس، وكذلك الدينامية العالية التي تمتعت بها قيادة الحركة، وقدرتها على التكيف والتعامل مع البيئات الصعبة. وهي مزايا يجب المحافظة عليها في ضوء التوسع الكبير للحركة، وامتداداتها في الضفة والقطاع والخارج، واضطرارها للعمل تحت النار والحصار، وفي ظروف المطاردة والإبعاد، وفي ضوء صعوبات المواءمة بين العمل المسلح وبين العلاقات السياسية وبين توفير سبل الدعم والتمويل.

- استفاد التيار الإسلامي المقاوم من الحاضنة الأصيلة والدعم القوي والفعال الذي وفّرته الحركة الإسلامية، وخصوصاً الإخوان في الأردن، فعملوا بكل جهودهم لتوفير بيئات النجاح المناسبة لإطلاق حماس وتقويتها وتوسعها. وهذا ينطبق على جماعة الإخوان في البلاد العربية والإسلامية (بقيادة ورعاية الإخوان في مصر)،

ومعهم القوى الإسلامية، التي وفَّرت بيئات دعم شعبي ديني وتعبوي وسياسي وإعلامي ومالي واسع لفلسطين، وأسهمت في نشر الوعي وفي مواجهة التطبيع مع العدو. وهو ما يعني ضرورة تكريس البُعد الإسلامي للصراع مع العدو. هذا مع عدم إغفال أن عدداً من القوى الوطنية والقومية والعالمية الصادقة أسهمت في دعم المقاومة.

- بالرغم من أنّ ما أنجزته المقاومة الإسلامية هو محل تقدير، إلا أنه ما زال أمام المشروع الإسلامي لتحرير فلسطين خطوات كبيرة وتحديات عظيمة لتحقيق أهدافه. إذ إن جوهر عملها تركَّز على "مشاغلة" العدو وإضعافه ومنع تمدده، وتعزيز الصمود الشعبي (والرسمي إلى حدّ ما) في مواجهته، كما نجحت في إيجاد قاعدة مقاومة صلبة في قطاع غزة. غير أن الانتقال من منع التمدد إلى فرض الاندحار، ومن "المشاغلة" إلى "التحرير" يحتاج قفزات نوعية تشمل توسيع دائرة الوعي والإيمان بالحل الإسلامي للتحرير، ووجود بيئة استراتيجية رافعة للمقاومة، وتحشيد الأمة وتعبئتها وإعدادها للمشاركة في المشروع كل بحسب ظروفه وقدراته وإمكاناته، وتحقيق نهوض حضاري وحدوي للوصول إلى امتلاك أسباب القوة لتحقيق التفوق الاستراتيجي على العدو؛ وتطوير البنى المؤسسية الرسمية والشعبية الفلسطينية لتمارس دورها الفعال في مشروع التحرير؛ ودعم صمود الشعب الفلسطيني على أرضه ومواجهته للعدو؛ وتوريث القضية للأجيال، وتوسيع دائرة المناصرة العالمية لمشروع التحرير؛ وإفشال مسارات التطبيع ومسارات التسوية التي تؤدي للتنازل عن أي جزء من فلسطين.

هوامش الفصل الخامس

[1] حول المقاومة المسلحة للإخوان المسلمين خصوصاً في قطاع غزة، انظر الفصل الرابع من كتاب: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 159-221.

[2] مقابلة مع كامل الشريف، 2006/8/3.

[3] كامل الشريف، **المقاومة السرية في قناة السويس**، ط 2 (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984)، ص 57، و71.

[4] فوزي جبر، مقابلة مع المؤلف، الكويت، 1999/11/20. فوزي جبر هو أحد قدماء الإخوان، كان مساعداً لخليل الوزير في العمل العسكري الخاص، من أبرز العاملين بصمت ونشاط، خصوصاً في الجوانب المالية والخيرية ودعم المقاومة الفلسطينية.

[5] كامل الشريف، **المقاومة السرية في قناة السويس**، ص 48-50، و54، و57؛ ومها كامل الشريف (محرر)، صفحات مختارة من أوراق كامل الشريف، ص 49، و102 (قامت السيدة مها كامل الشريف مشكورة بإهداء نسخة من هذه الأوراق للمؤلف، عمّان، الأردن، 2006)؛ ومقابلة مع كامل الشريف، 2006/8/3.

[6] ولد محمد أحمد أبو سيدو في مدينة غزة في 1931/1/15. شارك مع كتائب الإخوان في حرب 1948. كان من أبرز قادة العمل الإخواني العسكري في قطاع غزة في النصف الأول من الخمسينيات.

[7] مقابلات أجراها المؤلف مع: محمد الخضري، جدة، السعودية، 13-1998/9/14، ومحمد صيام، كوالالمبور، ماليزيا، 4-2000/6/5، وخيري الآغا، جدة، السعودية، 1998/9/16، وكامل الشريف، 2006/8/3، وفوزي جبر.

محمد الخضري: كان مساعداً لخليل الوزير في العمل العسكري الخاص، وممثلاً رسمياً لحماس لنحو عشرين عاماً، تولى رئاسة مجلس الشورى العام (المركزي) لحركة حماس لدورتين 2004-2013، وعضو الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي لفلسطينيي الخارج.

محمد صيام: من أعضاء العمل العسكري الخاص، ومن رموز حركة حماس.

خيري الأغا: من قادة العمل العسكري للإخوان في قطاع غزة 1952-1956، أحد مؤسسي تنظيم الإخوان الفلسطينيين وعضو مجلس الشورى المركزي منذ إنشائه. نائب المراقب العام في الفترة 1973-1975، والمراقب العام لتنظيم الإخوان الفلسطينيين في الفترة 1975-1978. رئيس جهاز فلسطين، ومن أبرز مؤسسي حماس، وأول رئيس لها حتى استقالته في سنة 1993.

[8] مقابلتان مع: محمد الخضري، وخيري الأغا.

[9] مقابلة مع فوزي جبر. ويرى فوزي جبر أن المعسكرات الوسطى (النصيرات، والبريج، والمغازي) كانت تمثل منطقة رابعة، بقيادة شوقي الخراز.

[10] مقابلات أجراها المؤلف مع: منير عجور، الكويت، 1999/11/24، وسليمان حمد، عدة مقابلات مع المؤلف، أبرزها في الكويت، 22–1999/11/27، وعبد الله أبو عزة، أبو ظبي، الإمارات، 1998/6/29، وكامل الشريف، 2006/8/3، وفوزي جبر، ومحمد الخضري.

منير عجور: من قدماء الإخوان المسلمين في غزة، شارك في قيادة "جبهة المقاومة الشعبية" لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة، وكان من رواد حركة فتح في الكويت.

سليمان حمد: عضو في جماعة الإخوان المسلمين منذ سنة 1950، من جيل التأسيس في حركة فتح، عضو مجلس شورى تنظيم الإخوان الفلسطينيين، وعضو لجنته التنفيذية سنة 1973، ونائب المراقب العام 1975–1978، وعضو مؤسس في جهاز فلسطين (الذي سبق إنشاء حماس)، من مؤسسي حركة حماس وقادتها الأوائل، ورئيس لجنة "التخطيط الاستراتيجي" فيها 1988–1990.

عبد الله أبو عزة: من قيادات الإخوان الرئيسية في قطاع غزة 1955–1962، تولى منصب نائب رئيس الإخوان الفلسطينيين في النصف الثاني من الستينيات، ثم صار رئيساً للتنظيم سنة 1970، بعد أن استعفى رئيسه عبد البديع صابر عن متابعة القيادة، مفكر ومؤرخ وكاتب إسلامي نشرت له العديد من الدراسات والكتب.

[11] مقابلة مع كامل الشريف، 2006/8/3.

[12] عبد العزيز علي، مقابلة مع المؤلف، الكويت، 1985/9/27. عبد العزيز علي من الإخوان المسلمين المصريين، شارك في حرب فلسطين 1948، من أبرز المدربين العسكريين للإخوان.

[13] مها كامل الشريف، صفحات مختارة من أوراق كامل الشريف، ص 88–89.

[14] المرجع نفسه، ص 99.

[15] مقابلة أجرتها سلوى العمد مع خليل الوزير، جريدة **السفير**، بيروت، 1988/4/25.

[16] يتحدث عدد من ملفات الخارجية البريطانية المحفوظة في الأرشيف الوطني البريطاني عن هذه العملية، وأهمها ملف F.O. 371/111077 الذي يحوي نحو 200 صفحة. وكذلك الملفات F.O. 371/111098، وF.O. 371/111099، وF.O. 371/111100، وF.O. 371/111101. انظر:

Letter, British Embassy, Tel Aviv, to A.D.Ross, Eastern Department F.O., London, confidential, 14/4/1953, F.O. 371/104779.

غطى ملف الخارجية البريطانية F.O. 371/115896 عملية الباص (معاليه عقرابيم) في 200 صفحة من الوثائق المحتوية على مراسلات وتقارير مختلفة بشأنها.

[17] مقابلة أجرتها سلوى العمد مع خليل الوزير، **السفير**، 1988/4/25. وانظر أيضاً: خليل الوزير، "حركة فتح: البدايات،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 104، خريف 2015، ص 61–62.

[18] عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية** (الكويت: دار القلم، 1985)، ص 48–50.

[19] انظر: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 201–204.

[20] بحسب إيلان بابيه فإن ضم الأردن للضفة الغربية أضاف 670 ألف فلسطيني إلى 300 ألف شرق أردني، وبعض الشرق أردنيين هم من أصول فلسطينية، وأنه حتى 1967 كان 75% من سكان الأردن فلسطينيون. وبحسب أسعد عبد الرحمن فإن سكان الضفة الغربية كانوا 425 ألفاً التجأ إليهم 360 ألفاً من أبناء فلسطين المحتلة 1948، كما التجأ لشرق الأردن 110 آلاف لاجئين آخرين. انظر: أسعد عبد الرحمن، **منظمة التحرير الفلسطينية** (نيقوسيا: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1985)، ص 25؛ وانظر:

Ilan Pappe, "Jordan Between Hashemite and Palestinian Identity," in Joseph Nevo and Ilan Pappe (eds.), *Jordan in the Middle East 1948–1988: The Making of a Pivotal State* (London: Routledge, 2016), p. 63.

[21] انظر: فاروق بدران وسعود أبو محفوظ، "محطات في تاريخ الحركة الإسلامية في الأردن (الإخوان المسلمين) 1946–1996،" مقدمة إلى مؤتمر تاريخ الجماعة، عمّان، الأردن، 1996؛ وانظر أيضاً:

Abd al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question*, p. 162; and Amnon Cohen, *Political Parties in the West Bank under the Jordanian Regime: 1949–1967* (London: Cornell University Press, n.d.), pp. 144–145.

[22] Benny Morris, *Israelis Border Wars: 1949–1956* (New York, US: Oxford University Press, 1993), p. 7.

[23] انظر: جريدة **فلسطين**، 1950/8/23؛ وجريدة **الدفاع**، 1953/10/18 و1956/3/15؛ وانظر:

Amnon Cohen, *Political Parties*, p. 169.

[24] بالرغم من قرار عقد المؤتمر سنوياً إلا أن السلطات الأردنية منعت قيادته بمن فيهم سعيد رمضان من دخول الأردن في أوائل 1954، ومنعت انعقاد المؤتمر سنة 1955، واضطر لعقد مؤتمره الثاني في دمشق 1956؛ ثم رفعت الحظر عنه وسمحت له بالعمل بعد طرد جلوب باشا 1956، غير أنها لم تسمح له بالانعقاد فيها إلا لسنة 1959 حيث عقد مؤتمره الثالث في القدس؛ لكنه كان قد تم إفراغه من الكثير من محتواه الذي نشأ لأجله.

انظر: فاروق بدران وسعود أبو محفوظ، "محطات في تاريخ الحركة الإسلامية في الأردن (الإخوان المسلمين) 1946–1996،" ص 21–23؛ وجريدة **فلسطين**، 1954/8/26؛ وانظر:

Amnon Cohen, *Political Parties*, pp. 176–177.

[25] جريدة **الدفاع**، 1954/4/7.

[26] Amnon Cohen, *Political Parties*, pp. 169, 176–177.

وانظر: جريدة **الدفاع**، 1958/7/8؛ وفاروق بدران وسعود أبو محفوظ، "محطات في تاريخ الحركة الإسلامية في الأردن (الإخوان المسلمين) 1946–1996،" ص 22.

[27] مقابلتان مع: عبد العزيز علي، وكامل الشريف، 2006/8/3؛ وكتيب تعريفي بـ **المؤتمر الإسلامي العام** (القدس: المكتب للمؤتمر الإسلامي العام، د.ت)؛ ص 13. وسبق للمؤلف في أثناء تحضيره للماجستير أن قابل عبد العزيز علي، حيث أكد له ما ورد أعلاه. ولعل الشريف قصد حافظ عبد الغني عبد النبي النتشة، وهاشم صادق عبد النبي النتشة، عندما أشار إلى أبناء عبد النبي النتشة، وكلاهما كانا من الإخوان المسلمين.

[28] توافق طردهما مع الضربة الأقسى للإخوان في مصر، انظر: مقابلة مع عبد العزيز علي.

[29] مقابلتان مع: عبد العزيز علي، وكامل الشريف، 2006/8/3.

[30] انظر: كُتيب من إصدار المكتب التنفيذي لمؤتمر قادة الإخوان في البلاد العربية، 1957 (نسخة مصورة محفوظة لدى المؤلف)؛ وجريدة **الدفاع**، 1956/8/15.

[31] فاروق بدران وسعود أبو محفوظ، "محطات في تاريخ الحركة الإسلامية في الأردن (الإخوان المسلمين) 1946–1996،" ص 25؛ وانظر:

Amnon Cohen, *Political Parties*, p. 169.

[32] Amnon Cohen, *Political Parties*, p. 168.

[33] محمد عبد الهادي، مقابلة مع المؤلف، صيدا، لبنان، 1998/9/2. شارك محمد عبد الهادي في عضوية جماعة عباد الرحمن منذ الخمسينيات، انضم لحركة فتح وكان من مسؤوليها في منطقة صيدا ثم تركها لاحقاً، التحق بالجماعة الإسلامية في لبنان منذ 1965.

[34] انظر: يزيد صايغ، **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية**، 1949–1993، ترجمة باسم سرحان (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002)، ص 151.

[35] انظر: غسان دوعر، **قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968–1970** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018)، ص 39–40؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج 3، ص 2–3.

[36] حول تفصيلات علاقة الإخوان المسلمين بنشأة حركة فتح، انظر الفصل الخامس من كتاب: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 223–297.

[37] Helena Cobban, *The Palestinian Liberation Organization: People, Power and Politics* (US: Cambridge University Press, 1988), p. 24.

[38] مقابلات مع: محمد الخضري، وخيري الأغا، وسليمان حمد.

[39] مقابلتان مع: محمد الخضري، وفوزي جبر.

[40] انظر مثلاً: مقابلات مع سليمان حمد، ومحمد الخضري، ومحمد صيام، وعبد الله أبو عزة، وغيرهم.

[41] عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 71–72.

[42] المرجع نفسه، ص 73–86.

[43] انظر: رسالة، سليمان حمد، الكويت، إلى محسن محمد صالح، ماليزيا، 1998/2/10.

[44] عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 76–77؛ ومقابلة مع عبد الله أبو عزة.

[45] محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 240–242.

[46] هاشم عزام، مقابلة مع المؤلف، عمّان، الأردن، 1998/8/14. انضم هاشم عزام إلى جماعة الإخوان المسلمين في منتصف الخمسينيات، ومن أوائل المنتظمين في فتح في الضفة الغربية، عضو مؤسس في مجلس المنظمات الإسلامية في الأردن وأمين صندوقه، وعضو جمعية العروة الوثقى وأمين سرّها 1970–2008.

[47] حول نشأة حركة فتح في الأردن انظر مثلاً: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 245–249.

[48] انظر: المرجع نفسه، ص 249–254.

[49] يزيد صايغ، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 151.

[50] انظر: سليم الزعنون، **السيرة والمسيرة: مذكرات سليم الزعنون أبو الأديب** (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013)، ص 97.

[51] سعود المولى، **من فتح إلى حماس: البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية** (جديدة المتن، لبنان: دار سائر المشرق، 2018)، ص 108–109. صار عاشور لاحقاً معتمد فتح في إقليم لبنان سنة 1969، ونائباً لمفوض التعبئة والتنظيم سنة 1972، وتولى منصب أمين سر المجلس الثوري لحركة فتح في الفترة 1989–2009، توفي في 2016/3/22.

[52] خليل الوزير، "حركة فتح: البدايات،" ص 63–64.

[53] أبو جهاد ويوسف عميرة، وعادل عبد الكريم الذي أشار يزيد صايغ إلى خلفيته الإخوانية، انظر: يزيد صايغ، **الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 151.

[54] انظر: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 311–317.

[55] عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 77–96؛ ومقابلتان مع: عبد الله أبو عزة، وسليمان حمد.

[56] عبد الرحمن بارود، مقابلة مع المؤلف، جدة، السعودية، 1998/9/14. انتظم عبد الرحمن بارود في جماعة الإخوان المسلمين في مطلع الخمسينيات، من مؤسسي تنظيم الإخوان الفلسطينيين، وكان نائباً للمراقب العام هاني بسيسو، من رموز الإخوان في السعودية، ومن مؤسسي حركة حماس ورموزها.

[57] حول الإخوان المسلمين في قطاع غزة، انظر الفصل الثاني من كتاب: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 41–99.

[58] المرجع نفسه، ص 57–64.

[59] مقابلة مع خيري الأغا؛ وعبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 94–96؛ وإسماعيل الخالدي، **60 عاماً في جماعة الإخوان المسلمين** (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2010)، ص 68. انظر مناقشة الروايات حول تاريخ انعقاد هذ المجلس، في: محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 109–111.

[60] محسن محمد صالح، **الإخوان المسلمون الفلسطينيون**، ص 115–116.

[61] مقابلة مع سليمان حمد؛ وانظر: عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 225.

[62] مقابلة مع سليمان حمد.

[63] السياق العام للنص مأخوذ أساساً من مقابلة للمؤلف مع سليمان حمد، غير أن المعلومات نفسها أو جزء منها تكرر في روايات عدد من الإخوان مثل خيري الأغا. وكذلك: يحيى شقره، مقابلة مع المؤلف، عمّان، الأردن، 1998/8/24. برز يحيى شقره في قيادة الإخوان الفلسطينيين (ثم بلاد الشام) بالكويت منذ أواخر السبعينيات وحتى 1990، وكان نائباً للرئيس في الفترة 1986–1989، شارك في تأسيس جهاز فلسطين، وفي تأسيس حماس، وأصبح أمين سر المكتب التنفيذي للجماعة.

[64] نص مقررات المؤتمر وثيقة محفوظة لدى المؤلف.

[65] انظر: محسن محمد صالح، **فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية** (كوالالمبور: فجر أولونج، 2003)، ص 408–409؛ وانظر أيضاً: مهيب النواتي، **حماس من الداخل** (غزة، فلسطين: دار الشروق، 2002)، ص 49–57 وص 67–72؛ وانظر حول خلفيات ظهور حماس:

Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters* (London: Hurst & Co Publishers Ltd., 2006), pp. 10–51.

[66] بلال محمد (محرر)، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 97–98. رمز عدنان مسودي إلى محمود مصلح، وفضل صالح، في نص الكتاب بـ م.م، وف.ص، لدواعٍ أمنية في ذلك الوقت.

[67] انظر: غسان دوعر، **قواعد الشيوخ**، ص 34–37.

[68] انظر: المرجع نفسه، ص 42–47؛ وعبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 127–144.

[69] غسان دوعر، **قواعد الشيوخ**، ص 53–55.

[70] مقابلتان مع: عبد الله أبو عزة، وسليمان حمد؛ وعبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 129–133.

[71] مقابلة مع عبد العزيز علي؛ وانظر: غسان دوعر، **قواعد الشيوخ**، ص 54–55، وعبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، ص 127–144.

[72] مقابلة مع عبد العزيز علي.

[73] انظر: عبد الله عزام، **حماس: حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين: الجذور التاريخية والميثاق** (بيشاور، باكستان: مكتب خدمات المجاهدين، 1989)؛ وغسان دوعر، **قواعد الشيوخ**، ص 91–97؛ ومحمد الحسن، **موقف الإسلاميين من قضية فلسطين** (قطر: مكتبة الفتح ومكتبة الغزالي، 1995)، ص 139.

[74] انظر: عبد الله عزام، **حماس: حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين: الجذور التاريخية والميثاق**، ص 73–74؛ وانظر أيضاً: غسان دوعر، **قواعد الشيوخ**، ص 100–102.

[75] مقابلة مع عبد العزيز علي.

[76] عبد الله عزام، **حماس: حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين: الجذور التاريخية والميثاق**، ص 76.

[77] انظر: زياد محمود علي، **عداء اليهود للحركة الإسلامية** (عمّان: دار الفرقان، 1982)، ص 100–114؛ وفايز سارة، "الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الأيديولوجيا وانقسام السياسة،" مجلة **المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 124، حزيران/ يونيو 1989، ص 55.

[78] خالد مشعل، عدة مقابلات مع المؤلف، أبرزها في عمّان، الأردن، 1998/8/28، والدوحة، 2016/12/15.

[79] مقابلة مع خالد مشعل.

[80] مقابلة مع خالد مشعل.

[81] حول العمل العسكري والأمني في قطاع غزة قبل إطلاق حماس، انظر: نهاد الشيخ خليل، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967–1987** (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2011)، ص 348–364؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994" (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، غزة، فلسطين، 2010)، ص 32–47؛ وربعي المدهون، "الحركة الإسلامية في فلسطين 1928–1987،" في مجلة **شؤون فلسطينية**، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، رام الله، عدد 187، تشرين الأول/ أكتوبر 1988، ص 27. وحول المعلومة المتعلقة بقيام الإخوان المعنيون بالعمل لفلسطين في الكويت بالدعم المالي، انظر: مقابلة مع خالد مشعل.

[82] انظر: رجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 40.

[83] انظر: نهاد الشيخ خليل، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة**، ص 354؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 77–78.

[84] رجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 46–47.

[85] نهاد الشيخ خليل، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة**، ص 356–357؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 43–45.

[86] انظر: مقابلة مع الدكتور فتحي الشقاقي، مجلة **الوسط**، لندن، 1995/11/6.

[87] المرجع نفسه.

[88] انظر: حمد سعيد الموعد، "المصادر الفكرية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين،" جريدة **الحياة**، لندن، 1995/1/27.

[89] **الوسط**، 1995/1/30.

[90] **الوسط**، 1995/11/6.

[91] المرجع نفسه؛ وانظر أيضاً: جريدة **الأسواق**، عمّان، الأردن، 1995/10/30.

[92] **الوسط**، 1995/1/30.

[93] بلال محمد، إلى المواجهة: **ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، ص 97–98.

[94] انظر: غسان حمدان، **الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد** (الكويت: دار الفلاح، 1989)، ص 36–38.

[95] انظر نصّ البيان في: **وثائق حركة المقاومة الإسلامية**، سلسلة بيانات الحركة، رقم 1، إعداد المكتب الإعلامي لحماس (د.م: المكتب الإعلامي لحماس، د.ت)، ص 17–18.

[96] بلال محمد، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، ص 99.

[97] المرجع نفسه، ص 101.

[98] **ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)**، آب/ أغسطس 1988، المادة 1 و2.

[99] **ميثاق حماس**، المادة 9.

[100] **ميثاق حماس**، المادة 11، و13–15.

[101] **ميثاق حماس**، المادة 16.

[102] **ميثاق حماس**، المادة 23، و25–27.

[103] **ميثاق حماس**، المادة 31.

[104] وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة حماس، موقع الجزيرة.نت، 2017/5/1، انظر: https://www.aljazeera.net

[105] المرجع نفسه.

[106] حول عمليات حماس في الفترة 1989–1993، انظر: غسان دوعر، **موعد مع الشاباك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام 1993** (لندن: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، **عماد عقل** (عمّان: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، **حرب الأيام السبعة: أسود حماس** (عمّان: فلسطين المسلمة، 1993)؛ ومهيب النواتي، **حماس من الداخل**، ص 71–90.

[107] صحيفة **صوت الشعب**، عمّان، 1993/12/8. ذكرت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) أن معطيات مؤسسة رعاية أسر الشهداء والأسرى تشير إلى استشهاد 1,550 فلسطينياً، وأنه تمّ اعتقال 100 ألف فلسطيني خلال الانتفاضة، انظر: الانتفاضة حقائق ومعطيات، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، في: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=3479؛ و يوم الجريح الفلسطيني، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا، في:
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=fCJqTua27460929309afCJqTu

[108] انظر: موسى الكيلاني، "الرقم الأصعب في المعادلة،" جريدة **الدستور**، عمّان، الأردن، 1995/2/1.

[109] انظر: نهاد الشيخ خليل، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة**، ص 348–355؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 46.

[110] انظر: شاكر الجوهري، **د. موسى أبو مرزوق: مشوار حياة... ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2019)، ص 143؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 83.

[111] انظر: رجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 100.

[112] موسى أبو مرزوق، رسالة إلى المؤلف، 2022/12/11.

[113] رجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 87.

[114] فَرح حامد، "العمل العسكري لكتائب الشهيد عز الدين القسام في وسط الضفة الغربية (1992–2006م)" (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، غزة، فلسطين، 2020)، ص 26.

[115] انظر: رجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 88–89.

[116] انظر: فَرح حامد، "العمل العسكري لكتائب الشهيد عز الدين القسام في وسط الضفة الغربية (1992–2006م)"، ص 33؛ ورجب حسن البابا، "جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية 1987–1994"، ص 88.

[117] فَرح حامد، "العمل العسكري لكتائب الشهيد عز الدين القسام في وسط الضفة الغربية (1992–2006م)"، ص 29–30.

[118] المرجع نفسه، ص 34–35.

[119] المرجع نفسه، ص 35–43؛ وانظر أيضاً: شاكر الجوهري، **د. موسى أبو مرزوق: مشوار حياة**، ص 144.

[120] انظر: غسان دوعر، **أسود حماس**، ص 47، وقد غطى الإعلام بوسائله المرئية والمسموعة والمقروءة تفاصيل الإبعاد وأحوال المبعدين وعودتهم منذ إبعادهم وطوال سنة 1993. انظر مثلاً: أعداد مجلة **فلسطين المسلمة**، لندن، التي غطت عملية الإبعاد وأخبار المبعدين بالتفصيل طوال سنة 1993.

[121] انظر: غسان دوعر، **موعد مع الشاباك**.

[122] المرجع نفسه؛ وانظر أيضاً حول حركة الجهاد الإسلامي: زياد أبو عمرو، **الحركة الإسلامية في الضفة وقطاع غزة** (عكا، فلسطين المحتلة: دار الأسوار، 1989)، ص 111–148.

[123] العمليات الجهادية، موقع سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، انظر: https://saraya.ps/

[124] جريدة **الرأي**، عمّان، الأردن، 1995/8/25.

[125] داود سليمان، **السلطة الوطنية الفلسطينية في عام 1994–1995** (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995)، ص 75–83، و135؛ وانظر: تقرير منظمة العفو الدولية، محاكمة منتصف الليل: المحاكمات السرية والفورية والجائرة في غزة، حزيران/ يونيو 1995، رقم الوثيقة MDE 15/15/95.

[126] انظر: **فلسطين المسلمة**، تشرين الثاني/ نوفمبر، وكانون الأول/ ديسمبر 1994، وكانون الثاني/ يناير 1995.

[127] انظر: جريدة **الشرق الأوسط**، لندن، 1995/6/27؛ و**الرأي**، 1995/7/2؛ و**فلسطين المسلمة**، آب/ أغسطس 1995؛ ومجلة **المجتمع**، الكويت، 1996/6/29.

[128] انظر: **الرأي**، 1996/1/7، والأعداد الصادرة في 2/26–1996/3/5؛ و**الحياة**، 1996/3/9؛ و**فلسطين المسلمة**، نيسان/ أبريل 1996.

[129] **فلسطين المسلمة**، نيسان/ أبريل 1994.

[130] انظر: **الرأي**، 23–1995/1/25.

[131] **الوسط**، 1995/1/30.

[132] **الوسط**، 1996/4/1.

[133] حول تحرير جنوب لبنان، انظر مثلاً: رندة حيدر، إسرائيل.. ما بعد الانسحاب من جنوب لبنان، الجزيرة.نت، 2004/10/3.

[134] يمكن مراجعة التقارير المنشورة في الإنترنت في أشهر تشرين الأول/ أكتوبر وكانون الأول/ ديسمبر 2000 في موقع المركز الفلسطيني للإعلام وموقع إسلام أون لاين، لقراءة العديد من النماذج والتقارير.

[135] موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2005/2/9، انظر: http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/viol/quds_viol_12-2005.html

[136] تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين لعام 2005، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، انظر: www.pnic.gov.ps/arabic/social/prisoners/2005.html

[137] انظر: "القسام حقائق وأرقام،" مجلة **قساميون**، وحدة الإعلام المقاوم–كتائب الشهيد عز الدين القسام، العدد الخاص 5، كانون الأول/ ديسمبر 2007.

[138] موقع الجيش الإسرائيلي، انظر: http://www1.idf.il/SIP_STORAGE/DOVER/files/9/21829.doc

[139] موقع الجيش الإسرائيلي، انظر: http://www1.idf.il/SIP_STORAGE/DOVER/files/6/31646.doc

[140] العمليات الجهادية، موقع سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

[141] نشرت التقرير جريدة **معاريف** ونشرت ترجمته **السفير**، 2005/7/15.

[142] موقع دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، انظر: www.cbs.gov.il؛ وانظر: نشرة بانوراما، وكالة قدس برس إنترناشيونال للأنباء، 2003/1/2.

[143] المكتب الإعلامي، موقع كتائب الشهيد عز الدين القسام، 2005/8/16، في: http://www.alqassam.ps/ensihab/ehsaeiat/ehsaeiat4.htm؛ وانظر أيضاً: **فلسطين المسلمة**، 2006/3/1، في: http://www.fm-m.com/2006/Mar2006/story15.htm

[144] للمزيد انظر: وكالة شهاب للأنباء، 2018/1/27، انظر: https://shehabnews.com؛ وجريدة **الشرق الأوسط**، لندن، 2018/1/28؛ وموقع عرب 48، 2018/9/2؛ وموقع مكان – هيئة البث الإسرائيلي، 2018/12/17. كما يمكن مشاهدة فيديو لعباس عن التنسيق الأمني على موقع فيسبوك، انظر: https://www.facebook.com/ShehabAgency.MainPage/videos/293870234669332

وانظر أيضاً: site of Ynetnews, 2/9/2018.

[145] *The Jerusalem Post* newspaper, 6/11/2018, https://www.jpost.com/Arab–Israeli–Conflict/Shin–Bet–head–We–thwarted–480–terror–attacks–in–past–year–571165

[146] قدس برس، 2018/5/3.

[147] انظر الفصول المتعلقة بالمقاومة الفلسطينية في سلسلة **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني** للفترة 2006–2021، التي صدرت عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، في:
https://www.alzaytouna.net/%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%82%d8%b1%d9%8a%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%b3%d8%aa%d8%b1%d8%a7%d8%aa%d9%8a%d8%ac%d9%8a/#.Y5rb3HZBwdU

[148] انظر: محسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2016–2017** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018)، ص 216؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018–2019** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 207.

[149] انظر حول العدوان الصهيوني على لبنان 2006، محسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007)، ص 113–136.

[150] حول هذه الحملات، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006**، ص 91؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 100.

[151] حول العدوان على غزة، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008**، ص 100–102؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 105؛ وعبد الحميد الكيالي (محرر)، **دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009).

[152] حول معركة حجارة السجيل، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2012–2013** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 100.

[153] حول معركة العصف المأكول، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014–2015** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارت، 2016)، ص 116–117.

[154] حول انتفاضة القدس 2015–2017، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2016–2017**، ص 209–211.

[155] حول هبَّة باب الأسباط، انظر: المرجع نفسه، ص 211–214.

[156] حول هبَّة باب الرحمة، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018–2019**، ص 136–138.

[157] بالفيديو.. 3 أعوام على معركة "صيحة الفجر" واستشهاد القائد بهاء أبو العطا، موقع سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، 2022/11/12؛ وموقع وزارة الصحة الفلسطينية، 2019/11/14، انظر:

https://www.moh.gov.ps/portal/phic-moh-gaza-infograf-of-israelian-occupation-aggression-against-gaza-strip-the-3th-day-cumulative/

[158] حول مسيرات العودة وكسر الحصار، انظر: محسن محمد صالح، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018–2019**، ص 199–200.

[159] حول معركة سيف القدس 2021، انظر: محسن محمد صالح وباسم جلال القاسم (محرران)، **معركة "سيف القدس" وتداعياتها فلسطينياً وإسرائيلياً وعربياً ودولياً 10–21 أيار/ مايو 2021**، ملف معلومات 28 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2021).

[160] كيف عمّقت معركة "وحدة الساحات" قلق الاحتلال؟، موقع قناة الميادين، 2022/8/8، انظر: https://www.almayadeen.net؛ وسرايا القدس تعلن "استشهاد" 12 من عناصرها بغزة خلال التصعيد الأخير، موقع وكالة الأناضول، 2022/8/8، انظر: https://www.aa.com.tr/ar؛ وارتفاع عدد شهداء العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة، موقع قناة الميادين، 2022/8/13.